

سبيل

النجاة والفكاك

من موالاة المرتدين وأهل الإشراك

تأليف

أحمد بن علي بن عتيق

١٢٢٧ - ١٣٠١ هـ

رحمه الله

عني بتصحيحه ومراجعته

إسماعيل بن سعد بن عتيق

شيخ علي بن محمد بن الحسين

تحت إشراف

إمام دار الإفتاء والبحوث الإسلامية في الكويت

إمام دار الإفتاء والبحوث الإسلامية في الكويت

والإمام - العلامة الشريفة -

وقف لله تعالى

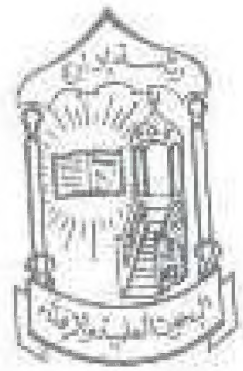
الطبعة السابعة

١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م





سبيل



النجاة والفكاك

من موالاة المرتدين وأهل الإشراف

تأليف

الشيخ / حمد بن علي بن عتيق

١٢٢٧ - ١٣٠١ هـ

رحمة الله

عني بتصحيحه ومراجعته

إسماعيل بن سعيد بن عتيق

طبع على نفقة بعض المحسنين

تحت إشراف

رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء

الإدارة العامة لمراجعة المطبوعات الدينية

الرياض - المملكة العربية السعودية

وقف لله تعالى

الطبعة السابعة

١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة للناسر
رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء
الرياض - المملكة العربية السعودية
وقف لله تعالى
الطبعة السابعة: ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، ١٤٢٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

ابن عتيق ، محمد بن علي
سبل النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الإشراك . - الرياض .

١٣٦ ص ١٢ : ١٧ X ١٢ : ١ سم

ردمك: ٩٩٦٠-١١-٢٢٢-٥

١- الولاء والبراء في الإسلام ٢- العقيدة الإسلامية ٣- الإسلام والمسيحية

أ- العنوان

٢٣/١٧٢١

ديوي ٢٤٠

رقم الإيداع: ٢٣/١٧٢١

ردمك: ٩٩٦٠-١١-٢٢٢-٥

تمت مراجعة وتصحيح هذه النسخة على النسخة التي
قام بتحقيقها فضيلة الشيخ د/ الوليد بن عبدالرحمن القرين
ط / ١٤٠٩هـ - مطابع دار طيبة - الرياض

سبيل النجاة والفكاك من هوالاة المرتدين وأهل الإشراك

عني بتصحيحه ومراجعته
إسماعيل بن سعد بن عتيق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝
لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ
كُفُوًا أَحَدٌ ۝﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ترجمة المؤلف (١)

هو العالم العلامة، المجاهد، القاضي، الشيخ حمد ابن علي بن محمد بن عتيق بن راشد بن حميضة، المعروف بابن عتيق، وأسرته من أشهر الأسر الضاربة في أطنا ب نجد.

ولد رحمه الله تعالى في بلد الزلفي - عام ١٢٢٧ هـ - ونشأ بها وتعلم القرآن، وتثبت بطلب العلم وهو في سن الصغر.

وتلقى العلم عن أئمة الدعوة الأعلام في الدرعية والرياض، واتصل سنده بالعلامة المجدد: (الشيخ عبدالرحمن بن حسن ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب).

(١) تمت الإضافة لترجمة المؤلف رحمه الله من مقدمة كتاب [إبطال التنديد] بقلم الشيخ إسماعيل بن سعد بن عتيق [الناشر].

وقد حمل أمانة العلم والتعليم، فنقلها إلى عدد كبير من أهالي نجد، وبالأخص في الأقاليم التي ولي بها القضاء: الخرج وحوطة بني تميم والأفلاج.

وأخذ عنه العلم كثير من علماء نجد، ومن أشهرهم: الشيخ العلامة عبدالله ابن الشيخ عبداللطيف، والشيخ العلامة سليمان بن سحمان، وأبنائه العلماء الأجلاء: الشيخ سعد، والشيخ عبدالعزيز، والشيخ عبدالله، والشيخ عبداللطيف، والشيخ إسحاق، وغيرهم.

عرف رحمه الله بقوة المصادمة لأهل الباطل، وحنكته في مجابهة الخصوم فقد ألف [سبيل النجاة والفكاك] لإلهاب الحماس ضد الدولة العثمانية، حينما كانت حرباً على نجد فلم تفلح، وذلك بعد وفاة الإمام فيصل بن تركي رحمه الله.

وكان رحمه الله مشهوراً بالكرم والورع، والإقبال على العبادة، أمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، لا تأخذه في

الله لومة لائم، وقد وقع في نجد في زمنه فتن عظيمة، فكان من أعظم الناس صبراً وجهاداً بسيفه ولسانه، ولم يألو جهداً في التحريض على الجهاد الشرعي في تلك الفتن. وكان بينه وبين الشيخ العالم عبداللطيف ابن الشيخ عبدالرحمن المكاتبات المشهورة المذكورة، غالبها في [مجموعة الرسائل النجدية].

أسس بيت عز وشرف لأسرته، صرحه العلم، وزخرفه العمل الصالح، حتى لقد أشتهر على ألسن العامة والخاصة من أهالي نجد قول الشاعر الكبير الشيخ محمد ابن عثيمين يرثي شيخه العلامة الشيخ سعد بن حمد بن عتيق نجله الأكبر:

بنى لكم حمد يا للعتيق علا لم ينها لكم مال ولا خطر
لكنه العلم يسمو عن يسود به على الجهول ولو من جده مضر
سعى في إخماد الفتنة بين ابني الإمام فيصل بن تركي
الأميرين: عبدالله وسعود في حال اختلافهما على الحكم

وتشاجرهما عليه .

رد على كثير ممن ناوأ الدعوة السلفية ، وذلك ضمن رسائله المدونة .

وولاه الإمام فيصل رحمه الله تعالى قضاء بلد الدلم ،
القرية المعروفة في الخرج ، ثم نقله منها إلى الحلوة ،
القرية المشهورة في حوطة بني تميم ، ومنها إلى الأفلاج ،
وبها استقر حتى توفي سنة ١٣٠١ هـ ، إحدى وثلاثمائة
بعد الألف من الهجرة ، ودفن ببلد العمار ، وقبره معروف
إلى الآن بها .

وله مؤلفات نافعة ، منها : [إبطال التنديد باختصار
شرح التوحيد] و[سبيل النجاة والفكاك من موالاة
المرتدين وأهل الإشراك] و[الفرق المبين بين مذهب
السلف وابن سبعين] و[الدفاع عن أهل السنة والاتباع]
و[التحذير من السفر إلى بلاد المشركين ووجوب الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر] و[المراسلات] و[المسائل

والفتوى].

وله رسالة في نحو الكراستين في الرد على ابن دعيج
في رسالته التي ضمنها تزكية الكفار وأئمة الردة ومسبة
المسلمين، وأنهم يكفرون من أقام ببلد المشركين وإن
كان مظهراً للدين، وله غيرها من الرسائل الشيء الكثير.

وكان رحمه الله يقول الشعر، سريع البديهة، كتب إليه
ابنه سعد في سفره لطلب العلم من الهند هذين البيتين:

لاكتساب العلم سافرنا ونرجو أنه فتح وإقبال وبر
قلت يا قلبي فأرخ منهما قال تأرخي له (يمن أغر)
فلما وقع نظر والده عليهما أنشأ يقول:

يا الهي لا تخيب سعيه أوله النوفيق حقاً والظفر
واجعل العلم اللدني حظه أوله فهم المنزل والآثر
اعطه رزقاً حلالاً واسماً كافياً حاجاته في ذا النثر
اكفه جميع محذوراته حادثات البر أيضاً والبحر
أنجب عشرة من الولد كلهم علماء، ولي القضاء منهم
في عهد الإمام عبدالعزيز رحمه الله الشيخ سعد في

الرياض عاصمة المملكة، ومنشأ الدولة السعودية الحديثة، والشيخ عبدالعزيز في وادي الدواسر، والأفلاج ومضارب يادية الجنوب مما يلي نجران، والشيخ عبداللطيف في رنية، وكانت آنذاك معقل تجمع كبير للإخوان المجاهدين من قبائل سبيع والأشراف، والشيخ عبدالله في الغطف، ثمركز قبيلة عتيبة ودار هجرة لمن تدين، ودخل ضمن الإخوان المجاهدين. أما بقية أنجاله فهم: إسماعيل وإسحاق ومحمد وعلي وعبدالرحمن وعبدالله الثاني، فكانوا نجوم هدى، وبدور دجى، تفرغوا للتعليم والحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وظلت وراثته العلم سارية في أحفاده وأبنائهم إلى يومنا هذا.

توفي رحمه الله سنة (١٣٠١ هـ) في الأفلاج عن عمر يناهز السبعين سنة.

وقد رثاه العالم العلامة صاحب المؤلفات الكثيرة

المقيدة الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله تعالى
فقال :

على البحر بحر العلم بدر المناير
وأية عين لا تنج بمائها
فلا نعمت يوماً ولا قلب فالتى
فوا لها من فادح جيل خطيه
ورزق فظيع بل شريع ولائع
يعز علينا أن نرى اليوم مثله
وللتبهاات المعضلات وردنا
فله من حبر تصعد للعللا
ولله من حبر إمام وبلشع
ويقتل آثار النبي وصحبه
ويحي علامات من العلم قد غقت
إمام نزيها بالعبادة فما ستمسى
لقد كان إماماً في الساحة والندى

وشمس الهدى فليبك أهل البصائر
عليه كنج المقصرات المواطر
خلى من الأشجان ليس بغائر
وثلم من الإسلام إحدى الفوائر
بشمس هدى أضحي نزيل المقابر
لمحل عويس المشكلات البوائر
إذا ما تبدت من كشور مقامر
فحل على هام النجوم الزواهر
يعوم بيار من العلم زاخر^(١)
يجدد من منهاجهم كل دائر
ويعمر من بنيانه كل دامر
بها وارثي مجداً سمي المظاهر
فليس له في عصره من مناظر

(١) البلع الحائق بكل شيء ، يعوم : يسبح ، التيار : موج البحر إذا هاج.

وفي الحلم قد أضحي لعمر كآبة
 نفسي نفسي المعنى مهذب
 فأضحي رهيناً في المقابر أويماً
 لقد صابنا صاباً من الحزن مشجع
 وأرق جنن المين خطب غصيب
 ليجالت لنا الأشجان من كل جانب
 فيا أيها الإخوان لا تسأموا البكاء
 فما حمد في العلم إلا متوج
 نعمته المولى الكريم بفضله
 وأسكنه بحبوحة الفوز والرضى

وفي العلم ذو حظٍ أظيد ووافر^(١)
 أريب ربيب الجاش ليس بطائر^(٢)
 وصار إلى رب كريم وغافر
 لدن طرق الناعي يفخر المحاضر
 بضعف من ركن الهدى كل عامر
 وأظلم في نجد تطيع الدساكر
 على علم الأعلام بدر المناير
 حميد الماعى مشعل المائر
 ورحمته والله أقدر قادر
 مع الصالحين الطيبين الأظاهر^(٣)

(١) أظيد: متعكر

(٢) الأريب: الماهر، الربيب: من الرجال الحليم الثابت.

(٣) انظر القصيدة كاملة في [ديوان عقود الجواهر المنضلة الحبان]

شعر علامة الزمان الشهير سليمان بن سليمان - منشورات
 مؤسسة الدعوة الإسلامية الصحفية بالرياض، ض ٣٩٤ - ٣٩٦

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب قيماً بلا
اعوجاج، وجعله عصمة لمن تمسك به واعتمد عليه في
الاحتجاج، وأوجب فيه مقاطعة أهل الشرك بإيضاح
الشريعة والمنهاج، والصلاة والسلام على محمد الذي مرّق
الله ظلام الشرك بما معه من السراج، وعلى آله وأصحابه
الذين جاهدوا أهل الكفر وبأينوهم من غير امتزاج.

أما بعد: فإنني قد تكلمت وشددت في النهي عن موالاة
المشركين، ودعوت من حولي من المسلمين إلى عداوة
الكافرين.

ثم كتبت في ذلك بعض الآيات الدالة عليه، مع
كلمات قليلة من كلام بعض المحققين من أهل العلم
والدين، وما كنت أظن أن من قرأ القرآن، وآمن أنه كلام
الله وأن الله تعبدنا بالعمل به والقيام - إلا إذا سمع ذلك

أذعن له وانقاد، وبادر إلى السمع والطاعة لحكمه؛ لقول
الله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ
دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ (١)، وقال تعالى: ﴿فَلَا
وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ
لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا
تَسْلِيمًا﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنْ
هُدًى فَاتَّبِعْ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ (٣) وَمَنْ أَعْرَضَ
عَنْ وَكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
أَعْمَى (٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (٥)
قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُكْسَى (٦)

فحصل من بعض الجاهليين والمعادنين إنكاراً لذلك،
وجحد لما أوجب الله الإقرار به والقيام، فصار المتشبهون

(١) سورة الأعراف، الآية ٣.

(٢) سورة النساء، الآية ٦٥.

(٣) سورة طه، الآيات ١٢٣-١٢٦.

إلى العلم المدَّعون أنهم من طلبته في ذلك على أقسام:
 طائفة منهم: استحسنت المعارضة الجاهلة الضالة
 ورضيتها، وإن لم تصرح بذلك فإنه ظاهر على وجوبها.
 وطائفة: كرهت المعارضة، واستجهلت صاحبها،
 ولكنها لم تفعل ما أوجب الله عليها من ردِّ ذلك، والإنكار
 على سالكه. ولولا ما وقع لهؤلاء لما كان المعارض
 مساوياً لمن يجاوبه، فلأجل ذلك كتب شيخنا الشيخ
 عبدالرحمن بن حسن رسالة مفيدة في الرد على هذا
 المعارض، نقض فيها أقواله نقضاً بديعاً، وهي كافية في
 الرد عليه، فصار شيخنا هو إمام الطائفة الرائدة لأقوال أهل
 الباطل، المنكرة لها، والله ناصر دينه، ومظهره على الدين
 كله ولو كره الكافرون.

ثم إنني كاتب إن شاء الله كلمات، فيها بيان لأشياء وقع
 الغلط فيها ممن يتسبب إلى الإسلام، بل من كثير ممن
 يتسبب إلى العلم، لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا

أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيْتِ وَأَهْدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا يَبْكُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ
 أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ ﴿١٥﴾ ﴿١٦﴾، وقوله
 تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لُبِّيَنَّاهُمْ
 لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ مِمَّا
 قَلِيلًا فَبُشِّرُوا﴾ ﴿١٧﴾ ﴿١٨﴾.

منها: وجوب معاداة الكفار والمشركين ومقاطعتهم.
 ومنها: شيء مما يصير به الرجل مرتدلاً. ومنها: ما يعتذر
 الرجل به على موافقة المشركين، وإظهار الطاعة لهم،
 ومنها: مسألة إظهار الدين. ومنها: مسألة الاستضعاف.
 ومنها: وجوب الهجرة، وأنها ياقية.

وسميت هذا الكتاب [سبيل النجاة والفكاك من موالاة
 المرتدين وأهل الإشراك].

وأسأل الله تعالى أن يجعله مبنياً على الإخلاص، وأن
 ينفع به من قرأه أو سمعه؛ طلباً للنجاة والخلاص.

(١) سورة البقرة، الآية ١٥٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٨٧.

فصل

اعلم أن الله سبحانه وتعالى بعث محمداً ﷺ بالهدى
ودين الحق: فبين للناس ما نُزِّل إليهم، فما من خير إلا
دلَّهم عليه، وعرفهم الطرق الموصلة إليه، وما من شر إلا
حذرهم منه، وسد عليهم أبوابه المفضية إليه.

ومن أعظم ذلك: أنه أخبرهم: (أن الإسلام بدأ غريباً،
وسيعود غريباً كما بدأ)، وأخبرهم بظهور الفتن التي
(كقطع الليل المظلم، يُصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي
كافراً، ويمسي كافراً ويصبح مؤمناً، يبيع دينه بعرض من
الدنيا)، فكان وقوع هذا لما وقع هو وأمثاله من الأدلة على
أنه رسول الله، ومما أخبر به: أن أمته تُقاتل الترك الكفار،
ووصفهم بأنهم صغار العيون، ذُلف الأنوف، فكان
وجوههم المِجَانُ المَطْرَقة، ومعنى ذُلف الأنوف: أنها
قصار مُنْبَطِحَة، والمِجَانُ: جمع المِجَنِّ، وهو التُّرْسُ،
أراد: أن وجوههم مستديرة ناتئة وجناتها، هذا معنى كلام

البلغوي في [شرح السنة] ^(١).

فكان من حكمة الله وعدله أن سلطهم على المسلمين في المائة الثالثة عشرة، فخرجوا على أهل الديار النجدية؛ لما ظهرت فيهم الملة الحنيفية، ودعوا إلى الطريقة المحمدية، ولكن حصل من بعضهم ذنوب، بها تسلطت هذه الدولة الكفرية، فجرى ما هو ثابت في الأقدار الأزلية، وإن كانت لا تجيزه الأحكام الشرعية، والله تعالى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

وامتحن أهل الإسلام بأمور تشبه ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في حادثة ظهور التتار في زمنه، وهم بادية الترك، فناسب أن نذكر بعض كلامه.

قال رحمه الله تعالى: فَإِنَّ هَذِهِ الْفِتْنَةَ الَّتِي ابْتُلِيَ بِهَا الْمُسْلِمُونَ مَعَ هَذَا الْعَدُوِّ الْمُفْسِدِ، الْخَارِجِ عَنْ شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ، قَدْ جَرَى فِيهَا شَيْءٌ بِمَا جَرَى لِلْمُسْلِمِينَ مَعَ

(١) [شرح السنة] للبلغوي تحقيق/ زهير الشاويش وشعيب الأرنؤوط،

ط. المكتب الإسلامي (١٥/١٣٦، ٣٧).

عدوهم على عهد رسول الله ﷺ في المغازي التي أنزل الله فيها كتابه، وابتلى بها نبيه والمؤمنين، مما هو أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر، وذكر الله كثيراً، إلى يوم القيامة، فإن نصوص الكتاب والسنة، اللذين هما دعوة محمد ﷺ يتناولان عموم الخلق بالعموم اللفظي والمعنوي، أو بالعموم المعنوي، وعهود الله في كتابه وسنة رسوله تنال آخر هذه الأمة، كما نالت أولها.

وإنما قصص الله علينا قصص من قبلنا من الأمم؛ لتكون عبرة لنا، فَنُشَبِّهُ حَالَنَا بِحَالِهِمْ، ونقيس أواخر الأمم بأوائلها، فيكون للمؤمن من المتأخرين شبه بما كان للمؤمن من المتقدمين، ويكون للكافر والمنافق من المتأخرين شبه بما كان للكافر والمنافق من المتقدمين.

كما قال تعالى لما قصَّ قصة يوسف مَفْصَّلةً، وأجمل ذكر قصص الأنبياء، ثم قال: ﴿لَقَدْ كُنَّا فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾^(١)، أي: هذه

(١) سورة يوسف، الآية ١١١.

القصص المذكورة في الكتاب ليست بمتزلة ما يفترى من القصص المكذوبة، كنحو ما يذكر في الحروب من السير المكذوبة. وقال تعالى لما ذكر قصة فرعون: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿١﴾. وقال في سيرة نبينا محمد ﷺ مع أعدائه بيدر وغيرها: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَهُمْ رَأَىٰ الْعَيْنُ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ ﴿٢﴾، وقال تعالى في محاصرته لبني النضير: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ بَنِي نَضِيرَ﴾... إلى قوله: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ ﴿٣﴾.

فأمرنا أن نعتبر بأحوال المتقدمين علينا من هذه الأمة، ومن قبلها من الأمم.

(١) سورة النازعات، الآيتان ٢٥، ٢٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٣.

(٣) سورة الحشر، الآية ٢.

وذكر في غير موضع : أن سنة في ذلك سنة مطردة وعادته مستمرة ، فقال تعالى : ﴿ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (١) مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا نَفِيلًا ﴾ (٢) سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ (٣) ، وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ قَتَلْنَاكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَذْيَرَ ثُمَّ لَا يَجِدُوكَ وَلِنَا وَلَا تَصِيرَا ﴾ (٤) سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ (٥) .

وأخبر سبحانه : أن دأب الكافرين من المستأخرين كدأب الكافرين من المتقدمين ، فينبغي للعقلاء أن يعتبروا بسنة الله وأيامه في عبادته ، ودأب الأمم وعاداتهم ، لا سيما في مثل هذه الحادثة العظيمة التي طبق الحاققين

(١) سورة الأحزاب ، الآيات ٦٠ - ٦٢ .

(٢) سورة الفتح ، الآيات ٢٢ ، ٢٣ .

خبرها، واستطار في جميع ديار الإسلام شرورها، وأطلع
 فيها النفاق ناصية رأسه، وكثر فيها الكفر عن أنبياءه
 وأضراره، وكاد فيها عمود الكتاب أن يُجث ويخترم،
 وحبل الإيمان أن ينقطع ويصطلم، وعقر دار المؤمنين أن
 يحل بها البوار، وأن يزول هذا الدين باستيلاء الفجرة
 التار، وظن المنافقون والذين في قلوبهم مرض: أن ما
 وعدهم الله ورسوله إلا غروراً، وأن لن ينقلب حزب الله
 ورسوله إلى أهلهم أبداً، وزين ذلك في قلوبهم، وظنوا
 ظن السوء، وكانوا قوماً بوراً.

ونزلت فتنة تركت الحليم فيها حيراناً، وأنزلت الرجل
 الصاحي منزلة السكران، وتركت الرجل اللبيب لكثرة
 الوسواس ليس بالنائم ولا اليقظان، وتناكرت فيها قلوب
 المعارف والأخوان، حتى بقي للرجل بنفسه شغل عن أن
 يُغيث اللهيان، ومير الله فيها أهل البصائر والإيقان، من
 الذين في قلوبهم مرض أو نفاق أو ضعف إيمان، ورفع

بها أقواماً إلى الدرجات العالية، كما خفض بها أقواماً إلى المنازل الهاوية، وكفر بها عن آخرين أعمالهم الخاطئة، وحدث من أنواع البلوى ما جعلها قيامة مختصرة من القيامة الكبرى.

فإن الناس تفرقوا فيها ما بين شقي وسعيد، كما يتفرقون كذلك في اليوم الموعود، وفر الرجل فيها من أخيه، وأمه وأبيه، إذ كان لكل امرئ منهم شأن يغنيه، وكان من الناس من أقصى همته النجاة بنفسه، لا يلوي على ماله ولا ولده ولا عرسه، كما أن منهم من فيه قوة على تخليص الأهل والمال، وآخر فيه زيادة معونة لمن هو منه ببال، وآخر منزلته منزلة الشفيع المطاع، وهم درجات عند الله في المنفعة والدفاع، ولم تضع المنفعة الخالصة من الشكوى إلا الإيمان والعمل الصالح، والبر والتقوى، وبلت فيها السرائر، وظهرت الخبايا التي تكئنها الضمائر، وتبين أن البهرج من الأقوال والأعمال

يخون صاحبه أحوج ما كان إليه في المال، وذم سادته وكبرائه من أطاعهم فأصلوه السيلا، كما حمد ربه من صدق في إيمانه، فاتخذ مع الرسول ميلا.

وبان صدق ما جاءت به الآثار النبوية من الإخبار بما يكون، وواطأتها قلوب الذين هم في هذه الأمة محدثون - أي: قُلُهْمُون - كما تواطأت عليه المبشرات التي أريها المؤمنون، وتبين فيها الطائفة المنصورة الظاهرة على الدين، الذين لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم إلى يوم القيامة، حيث تحزبت الناس ثلاثة أحزاب: حزب مجتهد في نصر الدين، وآخر خاذل له، وآخر خارج عن شريعة الإسلام.

وانقسم الناس بين ماجور ومعدور، وآخر قد غره بالله الغرور، وكان هذا الامتحان تمييزاً من الله وتقسيماً ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا

رَّحِيمًا ﴿١﴾ ﴿٢﴾ (١) (٢).

قلت: وما ذكره من الامتحان والافتان، قد رأينا ما هو نظيره أو أعظم منه في هذه الأزمان، وكذلك انقسم الناس إلى ثلاثة أقسام:

أحدها: ناصر لدين الإسلام، وساع في ذلك بكل جهده، وهم القليلون عدداً، الأعظمون عند الله أجراً.

القسم الثاني: خاذل لأهل الإسلام، تارك لمعونتهم.

القسم الثالث: خارج عن شريعة الإسلام بمظاهرة حزب المشركين ومناصحتهم. وقد روى الطبراني، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ، قال: «من أعان صاحب باطل ليدحض بباطله حقاً، فقد برئت منه ذمة الله وذمة رسوله».

(١) سورة الأحزاب، الآية ٢٤.

(٢) [مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية] جمع وترتيب

الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن قاسم (٢٨/٤٢٥ - ٤٢٩).

فصل

وهذا أو ان الشروع في المقصود

فأما معاداة الكفار والمشركين، فاعلم أن الله سبحانه وتعالى قد أوجب ذلك وأكد إيجابه، وحرّم موالاتهم وسدّد فيها، حتى أنه ليس في كتاب الله تعالى حكم فيه من الأدلة أكثر ولا أبين من هذا الحكم، بعد وجوب التوحيد وتحريم ضده.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ (١).

قال ابن جرير رحمه الله تعالى: (فأهل النفاق: مفسدون في الأرض بمعصيتهم فيها ربهم، وركوبهم فيها ما نهاهم عن ركوبه، وتضييعهم فرائضه، وشكهم في دين الله الذي لا يُقبل من أحد عملاً إلا بالتصديق به،

(١) سورة البقرة، الآية ٢١.

والإيقان بحقيقته ، وكذبهم المؤمنين بدعواهم غير ما هم عليه مقيمون من الشك والريب ، وبمظاهرتهم أهل التكذيب بالله وكتبه ورسله على أولياء الله ، إذا وجدوا إلى ذلك سبيلاً .^(١)

قال ابن كثير : (وهذا الذي قاله حسن ، فإن من الفساد في الأرض اتخاذ المؤمنين الكافرين أولياء ، كما قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ ^(٢) ، فقطع الله الموالاة بين المؤمنين والكافرين ، كما قال : ﴿ يَتَأَيَّدُوا الَّذِينَ آمَنُوا لَا نَخْذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُونَ أَنْ يُجْعَلُوا إِلَهُ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴾ ^(٣)
ولهذا قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ

(١) [تفسير الطبري] تحقيق / محمود محمد شاكر (١/٢٨٩).

(٢) سورة الأنفال، الآية ٧٣.

(٣) سورة النساء، الآية ١٤٤.

قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَي: نريد أن نداري
 الفريقين من المؤمنين والكافرين، ونصطليح مع هؤلاء
 وهؤلاء،... يقول الله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ
 وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿١٢﴾ يقول: ألا إن هذا الذي يعتمدونه
 ويزعمون أنه إصلاح هو عين الفساد، ولكن من جهلهم
 لا يشعرون بكونه فساداً ﴿١٣﴾. اهـ.

وهذا الذي ذكره، قد والله سمعناه ورأينا أهله، فإنه إذا
 قيل لهم: ما الحامل لكم على مجالسة أهل الشر والفساد؟
 قالوا: نريد أن نُصلح أحوالنا، ونستخرج ديانا منهم،
 ويكون لنا يدٌ عندهم.

وبعضهم: إذا ظنَّ بالله ظنَّ السوء من إدالة أهل

(١) سورة البقرة، الآية ١١.

(٢) [تفسير القرآن العظيم] للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير -

تحقيق: سامي بن محمد السلامة - ط/ دار طيبة للنشر والتوزيع

- الرياض (١/١٨١).

الباطل، ورأى من له اتصال بهم وتوصل إليهم - اتخذه
صديقاً، ورضي به جليلاً، قائلاً بلسان حاله: ﴿نَحْشَى أَنْ
تُصِيبَنَا دَآيِرَةٌ﴾^(١)، ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا
يَشْعُرُونَ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾^(٣)
الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَتُهُمْ
عِنْدَهُمُ الْعِزَّةُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾^(٤) إلى قوله: ﴿يَتَأْتِيهَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ
أَتُرِيدُونَ أَنْ تَحْمِلُوا لِلَّهِ عَلَيْهِكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾^(٥).

قال ابن كثير: (ثم وصفهم بأنهم يتخذون الكافرين
أولياء من دون المؤمنين، بمعنى: أنهم معهم في
الحقيقة، يوالونهم ويسرون إليهم بالموودة، ويقولون لهم

(١) سورة المائدة، الآية ٥٢.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٢.

(٣) سورة النساء، الآيات ١٣٨ - ١٤٤.

إذا خلوا بهم: إنما نحن معكم، إنما نحن مستهزون،
 أي: بالمؤمنين في إظهارنا لهم الموافقة، قال الله تعالى
 منكرًا عليهم فيما سلكوه من موالاة الكافرين:
 ﴿أَيَّبَنَفُوتَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ﴾ ثم أخبر تعالى بأن العزة كلها
 لله وحده لا شريك له، ولمن جعلها له، كما قال تعالى في
 الآية الأخرى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾^(١)،
 وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ
 الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢).

والمقصود من هذا: التهيج على طلب العزة من
 جناب الله تعالى، والالتجاء إلى عبوديته، والانتظام
 في جملة عباده المؤمنين، الذين لهم النصرة في هذه
 الحياة الدنيا، ويوم يقوم الأشهاد^(٣).

(١) سورة فاطر، الآية ١٠.

(٢) سورة المنافقون، الآية ٨.

(٣) [تفسير ابن كثير] (٢/٤٣٥).

قلت: فإذا كانت موالاته الكافرين من أفعال المنافقين، فهذا كافٍ في تحريمها والنهي عنها.

وقال تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾^(١) فنهى سبحانه المؤمنين عن موالاته الكافرين، ثم قال: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ أي: ومن يوال الكافرين ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ أي: فقد برىء من الله وبرىء الله منه، وهذا تهديد شديد، ووعيد أكيد؛ حفظاً للإسلام والتوحيد.

وقال تعالى: ﴿تَكْرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ ولَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ وَالْآخِرِ مَا أُزِيلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ

(١) سورة آل عمران، الآية ٢٨.

كَثِيرًا مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿١١﴾^(١)

قال شيخ الإسلام: فبين سبحانه وتعالى: أن الإيمان بالله والنبي وما أنزل إليه مستلزم لعدم ولايتهم، فثبت ولايتهم يوجب عدم الإيمان؛ لأن عدم اللازم يقتضي عدم الملزوم^(٢).

قلت: رتب الله تعالى على موالاته الكافرين سخطه، والمخلود في العذاب، وأخبر أن ولايتهم لا تحصل إلا ممن ليس بمؤمن، وأما أهل الإيمان بالله وكتابه ورسوله فإنهم لا يوالونهم، بل يعادونهم كما أخبر الله عن إبراهيم والذين معه من المرسلين، كما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

(١) سورة المائدة، الآيتان ٨٠، ٨١.

(٢) [اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم] تحقيق

وتعليق د/ ناصر العقل (١/ ٥٥٠) ط/ السابعة عام ١٤١٩ هـ -

توزيع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ
وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ
اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ
يُكْرِهُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ
بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ
تَكْدِيرًا ﴿١١﴾﴾ (١)، فنهى سبحانه وتعالى المؤمنين أن
يوالوا اليهود والنصارى، وذكر أن من تولاهم فهو منهم،
أي: من تولى اليهود فهو يهودي، ومن تولى النصارى
فهو نصيراني.

وقد روى ابن أبي حاتم، عن محمد بن سيرين، قال:
قال عبدالله بن عُتبة: (لست أجدكم أن يكون يهودياً أو
نصرانياً وهو لا يشعر) قال: فظنناه يريد هذه الآية:
﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾ إلى

قوله: ﴿فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ الآية (١).

وكذلك من تولى الترك فهو تركي، ومن تولى الأعاجم فهو عجمي، فلا فرق بين من تولى أهل الكتابين وغيرهم من الكفار.

ثم أخبر تعالى: أن الذين في قلوبهم مرض - أي: شك في الدين وشبهة، يسارعون في الكفر قائلين: ﴿نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ أي: إذا أنكرت عليهم موالاة الكافرين، قالوا: نخشى أن تكون الدولة لهم في المستقبل، فيسلطوا علينا، فيأخذوا أموالنا، ويشرّدونا من بلداننا، وهذا هو ظن السوء بالله الذي قال الله فيه: ﴿الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنُّكَ السَّوْءُ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَمَا هِيَ بِمَصِيرَةٍ﴾ (٢)؛ ولهذا قال تعالى في هذه الآية: ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ

(١) [تفسير ابن كثير] (٣/١٣٢).

(٢) سورة الفتح، الآية ٦.

عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ تَلِيمِينَ ﴿٥٦﴾ ﴿١﴾
 و(عسى) من الله واجب، والحمد لله الذي أتى بالفتح،
 فأصبح أهل الظنون الفاسدة على ما أسروا في أنفسهم
 نادمين.

وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ
 هُزُوءًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ ءَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا
 اللَّهَ إِنَّ كُفُومَ مُّؤْمِنِينَ﴾ ﴿٥٧﴾ ﴿٢﴾، فنهى سبحانه وتعالى
 المؤمنين عن موالاته أهل الكتابين وغيرهم من الكفار،
 وبين أن موالاتهم تنافي الإيمان.

وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا
 ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ ءَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى
 الْإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَوَلَّيْكُمُ الْفَٰسِقُونَ﴾ ﴿٥٨﴾
 قل إن كان ءآبَاؤُكُمْ وَإِبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ

(١) سورة المائدة، الآية ٥٦.

(٢) سورة المائدة، الآية ٥٧.

وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَبِجَارَةٍ تَبْخَسُونَ كَسَادَهَا وَمَسْكِنُ
 تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي
 سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
 الْفَاسِقِينَ ﴿١١﴾ ، فنهى سبحانه وتعالى المؤمن عن
 موالاة أبيه وأخيه - اللذين هما أقرب الناس إليه - إذا كان
 دينهما على غير الإيمان ، وبين أن الذي يتولى أباه وأخاه
 إذا كانا كافرين - فهو ظالم ، فكيف بمن تولى الكافرين
 الذين هم أعداء له ولآبائه ولدينه ؟! أفلا يكون هذا
 ظلماً ؟! بلى ، والله إنه لمن أظلم الظالمين .

ثم بين تعالى أن هذه الثمانية لا تكون عذراً في موالاة
 الكافرين ، فليس لأحد أن يواليهم خوفاً على أبيه أو أخيه
 أو بلاده أو ماله ، أو مشحنة بعشيرته ، أو مخافة على
 زوجاته ، فإن الله قد سد على الخلق باب الاعتذار بهذه
 الثمانية ، وذلك أن ما من أحد يوالي المشركين إلا وهو

يعتذر بها أو ببعضها، وقد بان أن هذا ليس بعذر.

فإن قيل: إنه قد قال كثير من المفسرين: إن هذه الآية نزلت في شأن الجهاد.

فالجواب من وجهين:

أحدهما: أن نقول: إذا كانت هذه الثمانية ليست عذراً في ترك الجهاد الذي هو فرض على الكفاية، فكونها لا تكون عذراً في ترك عداوة المشركين ومقاطعتهم بطريق الأولى.

الوجه الثاني: أن الآية بنفسها دالة على ما ذكرنا، كما دلت على الجهاد، فإنه قال: ﴿أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ﴾ فإن محبة الله ورسوله توجب إظهار عداوة المشركين ومقاطعتهم على هذه الثمانية، وتقديمها عليها، كما أن محبة الجهاد توجب إشاره عليها، وبالله التوفيق.

وهذا إذا سمعه المنصف يكون عنده ظاهراً، وأما من

أعمى الله بصيرته بسبب تعصبه، فكما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ۚ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ۚ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلِيَّتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا﴾، ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾^(٢).

فأخبر: أن الكافرين إذا لم يوال بعضهم بعضاً بأن ينحازوا عن المسلمين ويقطعوا للمسلمين أيديهم منهم، وإلا وقعت الفتنة والفساد الكبير.

فتبين أن موالة المسلم للكافر سبب الافتتان في الدين، بترك واجباته، وارتكاب محرماته، والخروج عن شرائعه، وسبب للفساد في الأديان والأبدان والأموال،

(١) سورة يونس، الآيات ٩٦، ٩٧.

(٢) سورة الأنفال، الآيات ٧٢، ٧٣.

فأين هذا من أقوال أهل الفساد والمجون: إن موالاة
المشركين صلاح وعافية وسلامة!!؟

وقال تعالى: ﴿وَدُّوا أَنْ تُكْفِرُوا كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً
فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا
فَإِخْلُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ
وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ١١٩﴾. فأخبر تعالى عن الكفار: أنهم
يودون كفر المسلمين كما كفروا، ثم نهى أهل الإيمان عن
موالاتهم حتى تحصل منهم الهجرة بعد الإسلام.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ
أَوْلِيَاءَ تَلْقَوُا إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ
يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ
جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ
بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَمْتُ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ
السَّبِيلِ ١٢٠﴾. إن يتفقوكم يكونوا لكم أعداء ويتسلطوا عليكم أيديهم

وَالْيَسْتَنَّهُمْ بِالشُّوَءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿١﴾ لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا
أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ قَدْ
كَانَتْ لَكُمْ أَمُوءٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا
بُرْعَاؤُكُمْ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كُفْرًا بِكُرِّهِ وَإِنَّا
بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ
إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا اسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا
عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا
يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ
وظَهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ قَوْلَهُمْ وَمَنْ يَنْوَلِّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ
الظَّالِمُونَ ﴿٤﴾﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا
قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَبِيسُ الْكَفَّارُ
مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿٥﴾﴾ (٢)

وقد ثبت في [الصحاح]: أن هذه السورة نزلت في

(١) سورة النمتحنة، الآيات ١ - ٩.

(٢) سورة النمتحنة، الآية ١٣.

رجل من الصحابة، لما كتب إلى أهل مكة يُخبرهم بمسير النبي ﷺ إليهم عام الفتح، فأنزل الله هذه الآيات بخبر هذا الكتاب، وبعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب في أثر المرأة التي ذهبت بالكتاب، فوجده في عقيصة رأسها، فجاء الرجل إلى النبي ﷺ يعتذر ويحلف أنه ما شك، ولكنه ليس له من يحمي من وراءه من أهله بمكة، وأنه أراد هذا بدأ عند قريش، واستأذن بعض الصحابة في قتله، فقال النبي ﷺ: «وما يُدريك أن الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» فلولاً أن ذلك الرجل كان من أهل بدر، لُقِلَ بهذا الكتاب.

ففي هذه السورة مع سبب نزولها من الأدلة على وجوب عداوة الكفار ومقاطعتهم أدلة كثيرة:

فنهى تعالى أهل الإيمان عن اتخاذ عدوّه وعدوهم ولياً، وهذا تهيجٌ على عداوتهم، فإن عداوة المعادي لربك باعثة وداعية إلى عداوتك له.

ولنضرب لذلك مثلاً - والله المثل الأعلى - فقدّر نفسك
مملوكاً للإنسان هو سيّدك، والسبب في حصول
مصالحك، ومنع مضارك، وسيّدك له عدو من الناس،
فهل يصحّ عندك، ويجوز في عقلك أن تتخذ عدوّ سيّدك
ولياً، ولو لم ينهك عن ذلك؟ ! فكيف إذا نهاك عن ذلك
أشدّ النهي، ورثب على موالاتك له أن يُعذّبك، وأن
يسخط عليك، وأن يوصل إليك ما تكره، ويمنع عنك ما
نحب؟ ! فكيف إذا كان هذا العدو لسيّدك، عدوّاً لك
أيضاً؟ ! فإذا واليته مع ذلك كله، إنك إذا لمن الظالمين
الجاهلين ! !

ثم قال: ﴿ تَلْقَوْنَ إِيَّاهُمْ بِالْمُودَّةِ ﴾ وهذا كافٍ في إبطال
شبهة المشبهين، فإنه إذا أنكر عليهم موالاته المشركين
وموادتهم قالوا: لم يصدر منا ذلك، وهم مع ذلك يُعينون
أهل الباطل بأموالهم، ويذبّون عنهم بألسنتهم،
ويكاتبونهم بعورات المسلمين.

فأين هذا من الكتاب الذي نزلت فيه هذه السورة؟
وقد سماه الله إلقاء بالمودة!؟ وهذا ظاهر جداً.
ثم قال: ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ
وَرِثَاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾^(١)، فذكر ما يدعو إلى
عداوتهم: وهو كفرهم بالحق الذي جاء من عند الله،
 وإخراجهم النبي ﷺ وأهل الإسلام؛ لأجل الإيمان بالله،
ثم حذر تعالى من موالاتهم بأنه يعلم السر والعلانية،
وهذا تهديد شديد.

ثم قال: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾^(٢)
أي: من يتولّى أعداء الله، ويُلقي إليهم بالمودة، ويسر إليهم
- فقد أخطأ الصراط المستقيم وخرج عن طريق الصواب.
ثم قال: ﴿وَإِنْ يَتَفَقَّحُوا لَكُمْ أَعْدَاءٌ﴾ الآية، فبيّن
أنهم إن قدروا على المسلم، واستولوا عليه: ساموه سوء
العذاب، ﴿وَيَسْطُورُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَسْانِدُهُمْ﴾ بالضرب،

(١) سورة الممتحنة، الآية ١.

والقتل ، وبالكلام الغليظ ، ولو كان يواليهم ويكاتبهم في حال بعده عنهم ، فإنهم لا يرضون عنه ويسلمونه من شرهم ، حتى يكون دينه دينهم ؛ ولهذا قال : ﴿ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾ (١) كما قال : ﴿ وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ (٢) ، ثم قال : ﴿ لَنْ تَنْفَعَكُم أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴾ الآية (٣) ، فبيّن أن كون الرجل له أرحام وأولاد عند المشركين ، لا يُبيح له موالاتهم ، كما اعتذر هذا الرجل بأن له في مكة أرحاماً وأولاداً ، فلم يعذره الله تعالى ، فإنه يجب على الإنسان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، ولا يحصل الإيمان حتى يكون الرسول أحب إلى الإنسان من ولده ووالده والناس أجمعين .

فقوله : ﴿ لَنْ تَنْفَعَكُم أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴾ أي : لن ينجّوكم من عذاب الله ، فكيف تقدّمونهم على

(١) سورة البقرة ، الآية ١٢٠ .

(٢) سورة الممتحنة ، الآية ٣ .

مراد الله ؟ لا أجلهم توالون أعداء الله !! والله تعالى مطلع عليكم بصير بأقوالكم وأعمالكم ونياتكم .

ثم يبين أن هذا الذي دلهم عليه من موالة المؤمنين ، ونهاهم عنه من موالة الكافرين - ليس هو أمراً لهم وحدهم ، بل هو الصراط المستقيم الذي عليه جميع المرسلين ، فقال : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ أي : من المرسلين ﴿ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُوكُمْ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَخَدَّةً ﴾ ^(١) ، فقوله : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ كقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ ^(٢) .

فأمرنا سبحانه أن نناسي بإبراهيم الخليل ومن معه من المرسلين في قولهم لقومهم : ﴿ إِنَّا بُرَءُوكُمْ مِنْكُمْ وَمِمَّا

(١) سورة الممتحنة ، الآية ٤ .

(٢) سورة النحل ، الآية ١٢٣ .

تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿١﴾ إِلَى آخِرِهِ ، وَإِذَا كَانَ هَذَا وَاجِباً عَلَى
المسلم أن يقول هذا لقومه الذين هو بين أظهرهم ، فكونه
واجباً مع الكفار الأبعدين عنه ، المخالفين له في جميع
الأمرين أيين وأبين .

وها هنا نكتة بديعة في قوله : ﴿ إِنَّا بُرَءُوكُمْ وَمِمَّا
تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ وهي : أن الله تعالى قدم البراءة من
المشركين العابدين غير الله على البراءة من الأوثان
المعبودة من دون الله ؛ لأن الأول أهم من الثاني ، فإنه قد
يتبرأ من الأوثان ولا يتبرأ ممن عبدها ، فلا يكون آتياً
بالواجب عليه ، وأما إذا تبرأ من المشركين فإن هذا
يستلزم البراءة من معبوداتهم ، وهذا كقوله تعالى :
﴿ وَأَعْتَزِلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا
أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيحًا ﴾ (١) فقدم اعتزالهم على اعتزال
معبوداتهم ، وكذا قوله : ﴿ فَلَمَّا أَعْتَرَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ

(١) سورة مريم ، الآية ٤٨ .

اللَّهُ ﴿١﴾، وقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ ﴿٢﴾.

فعليك بهذه النكته، فإنها تفتح لك باباً إلى عداوة أعداء الله، فكم من إنسان لا يقع منه الشرك، ولكنه لا يُعادي أهله، فلا يكون مسلماً بذلك إذا ترك دين جميع المرسلين.

ثم قال: ﴿كَفَرْنَا بِكَ وَبَدَأَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾ ﴿٣﴾، فقوله: ﴿وَبَدَأَ﴾: أي: ظهر وبان، وتأمل تقديم العداوة على البغضاء؛ لأن الأولى أهم من الثانية، فإن الإنسان قد يبغض المشركين ولا يعاديهم، فلا يكون آتياً بالواجب عليه حتى تحصل منه العداوة والبغضاء، ولا بُد أيضاً من أن تكون العداوة

(١) سورة مريم، الآية: ٤٩.

(٢) سورة الكهف، الآية: ١٦.

(٣) سورة الممتحنة، الآية: ٤.

والبغضاء باذنين ، أي : ظاهرتين يسيين

واعلم أنه وإن كانت البغضاء متعلقة بالقلب ، فإنها لا تنفع حتى تظهر آثارها ، وتبين علامتها ، ولا تكون كذلك حتى تفرق بالعداوة والمقاطعة ، فحيث تكون العداوة والبغضاء ظاهرتين ، وأما إذا وجدت الموالاة والمواصلة فإن ذلك يدل على عدم البغضاء ، فعليك بتأمل هذا الموضوع فإنه يجلو عنك شبهات كثيرة .

ثم قال : ﴿ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (١) ، فذكر سبحانه وتعالى أفعالا تدعو إلى مقاطعتهم وترك موالاتهم ، وهي : أنهم يقاتلون في الدين ، أي : من أجله ، يعني : أن الذي حملهم على قتالكم ما أنتم عليه من الدين لعداوتهم له ،

(١) سورة الممتحنة : الآية ٩ .

وأيضاً يخرجون المؤمنين من ديارهم ويعاونون على إخراجهم، فمن تولاهم مع ذلك فهو من أظلم الظالمين . وفي هذه الآية أعظم دليل وأوضح برهان على أن موالاتهم محرمة منافية للإيمان، وذلك أنه قال: ﴿ إِنَّمَا بَيَّنَّاكُمْ اللَّهُ ﴾ فجمع بين لفظة ﴿ إِنَّمَا ﴾ المفيدة للحصر، وبين النهي الصريح، وذكر الخصال الثلاث وضمير الحصر - وهو لفظة (هم) - ثم ذكر الظلم المعترف بأداة التعريف . ثم قال: ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَیْسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَبِيسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴾ (١)

فهي سبحانه أهل الإيمان عن موالاة الذين غضب الله عليهم، فلا يحسن من المؤمن، ولا يجوز منه أن يوالي من فعل ما يغضب الله تعالى من الكفر، فإن موالاته له تنافي الإيمان بالله تعالى .

فصل

وهلها أمور يجب التنبيه عليها، ويتعين الاعتناء بها؛
ليتم لفاعلها مجانبة دين المشركين.

الأمر الأول: ترك اتباع أهوائهم: وقد نهى الله تعالى
عن اتباعها، قال تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى
حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهَدَىٰ وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ
أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا
نَصِيرٍ ١٦﴾ (١).

قال شيخ الإسلام: فانظر كيف قال في الخير:
﴿مِلَّتَهُمْ﴾، وقال في النهي: ﴿أَهْوَاءَهُمْ﴾؛ لأن القوم
لا يرضون إلا باتباع الملة مطلقاً، والزجر وقع عن اتباع
أهوائهم في قليل أو كثير، . . . وقال سبحانه لموسى
وهـارون: ﴿فَاسْتَفِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا

(١) سورة البقرة، الآية ١٢٠.

يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴿١١﴾ ، وقال سبحانه : ﴿ وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ
 اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (١٢) ﴿١٢﴾ ،
 وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَى
 وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُولِهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ
 مَصِيرًا ﴾ (١٣) ﴿١٣﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ
 بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ
 فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ
 مِنَ الْحَقِّ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرَهُمْ أَنْ
 يَقُولُواكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ (١٤) (١٥) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ
 وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾

(١) سورة يونس، الآية ٨٩ .

(٢) سورة الأعراف، الآية ٨٤٢ .

(٣) سورة النساء، الآية ١١٥ .

(٤) سورة المائدة، الآيتان ٤٨ ، ٤٩ .

(٥) [انقضاء الصراط المستقيم] (١/ ٩٩ - ١٠٢) .

وَأَتَيْنَهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا
جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا يَنْهَوْنَ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ
الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَنْ
يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ
وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾

وقال شيخ الإسلام: أخبر سبحانه وتعالى: أنه أنعم
على بني إسرائيل بنعم الدين والدنيا، وأنهم اختلفوا بعد
مجيء العلم بغيا من بعضهم على بعض، ثم جعل محمداً
ﷺ على شريعة من الأمر شرعها له، وأمره باتباعها، ونهاه
عن اتباع أهواء الذين لا يعلمون، وقد دخل في الذين لا
يعلمون كل من خالف شريعته، وأهواؤهم: هو: ما
يهوونه (٢).

(١) سورة الحجارة، الآيات ١٦ - ١٩.

(٢) [اقتضاء الصراط المستقيم] (١/٩٧، ٩٨).

قلت: فإذا كان اتباع أهواء جميع الكفار وسلوك ما يحبونه منهيًا عنه وممنوعاً منه - فهذا هو المطلوب، وما نهاك إلا خوفاً من اتباعهم في أصل دينهم الباطل.

وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ (١)، فأخبر سبحانه وتعالى: أنه أنزل كتابه حُكْمًا عَرَبِيًّا، ثم توعد على اتباع أهواء الكفار بهذا الوعيد الشديد.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايِنِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَغْدِلُونَ﴾ (٢) ... إلى غير ذلك من الآيات الدالة على وجوب ترك أهواء الكافرين، وتحريم اتباعهم، وأنه من أعظم القوادح في الدين.

(١) سورة الرعد، الآية ٣٧.

(٢) سورة الأنعام، الآية ١٥٠.

الأمر الثاني: معصيتهم فيما أمروا به: فإن الله تعالى نهى عن طاعة الكافرين، وأخبر أن المسلمين إن أطاعوهم ردوهم عن الإيمان إلى الكفر والخسارة، فقال تعالى: **يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ آعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ** (١) ﴿١١﴾ (١)، وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (٢) ﴿١٢﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ قُرْطًا (٣) ﴿١٣﴾ (٣)، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَدِّدُوا لَكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (٤) ﴿١٤﴾ (٤)، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ تَطِيعَ أَكْثَرُ مَنْ

(١) سورة آل عمران، الآية ١٤٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٠٠.

(٣) سورة الكهف، الآية ٢٨.

(٤) سورة الأنعام، الآية ١٢١.

فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ
وَأِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا
لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ تَذِيرًا ﴿١٢﴾ فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ
وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿١٣﴾﴾ وَقَالَ تَعَالَى:
﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ جَهْدُ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ
وَمَا أَوْلَاهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ وَقَالَ تَعَالَى:
﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ اتِّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ
كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٥﴾﴾ وَقَالَ تَعَالَى إِنْ خَبَرَ أَعْمَنَ
أَطَاعَ رُؤَسَاءَ الْكُفْرِ: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا
فَاصْلُوا سَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَتُخَذُوا
أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحِ

(١) سورة الأنعام، الآية ١١٦.

(٢) سورة الفرقان، الآيتان ٥١، ٥٢.

(٣) سورة التوبة، الآية ٧٣.

(٤) سورة الأحزاب، الآية ١.

(٥) سورة الأحزاب، الآية ٦٧.

أَنْتَ مَرْيَمَ وَمَا أَمُرُّوهُ إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا
وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ مُبْحِنُكُمْ عَمَّا
يُشْرِكُونَ ﴿١١﴾

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ اتَّخَذَهُمْ أَرْبَابًا، أَنَّهُ طَاعَتُهُمْ فِي
تَحْرِيمِ الْحَلَالِ وَتَحْلِيلِ الْحَرَامِ، فَإِذَا كَانَ مِنْ أَطَاعِ الْأَحْبَارِ
- وَهُمْ الْعُلَمَاءُ - وَالرَّهْبَانِ - وَهُمْ الْعِبَادُ - فِي ذَلِكَ فَقَدْ
اتَّخَذَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَمَنْ أَطَاعَ الْجُهَّالَ وَالْفَسَاقَ
فِي تَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ، أَوْ تَحْلِيلِ مَا حَرَّمَ اللَّهُ - فَقَدْ اتَّخَذَهُمْ
أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ، بَلْ ذَلِكَ أَوْلَى وَأَحْرَى.

الْأَمْرُ الثَّلَاثُ: تَرْكُ الرُّكُونِ إِلَى الْكُفْرِ وَالظَّالِمِينَ: وَقَدْ
نَهَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ: فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ
مَلَأُوا فِتْنَتَكُمْ النَّارَ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ
ثُمَّ لَا تَنْصُرُوهُمْ﴾ ﴿١٢﴾، فَنَهَى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ

(١) سورة التوبة، الآية ٣١.

(٢) سورة هود، الآية ١١٣.

الرُّكُونِ إِلَى الظُّلْمَةِ، وتوعد على ذلك بمسيس من النار، وعدم النصر، والشرك هو: أعظم أنواع الظلم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (١)، فمن ركن إلى أهل الشرك - أي: مال إليهم - ورضي بشيء من أعمالهم، فإنه مستحق لأن يعذبه الله بالنار وأن يخذله في الدنيا والآخرة.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً﴾ (٢) إذا لاذقتك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً (٣)، فأخبر سبحانه وتعالى: أنه لو لا تثبيت لرسوله ﷺ لركن إلى المشركين شيئاً قليلاً، وأنه لو ركن إليهم لأذاقه عذاب الدنيا والآخرة مضاعفاً، ولكن الله ثبته فلم يركن إليهم، بل عاداهم وقطع اليد منهم، ولكن إذا كان الخطاب للنبي ﷺ - مع عصمته -

(١) سورة لقمان، الآية ١٣.

(٢) سورة الإسراء، الآيات ٧٤، ٧٥.

بهذه الشدة فغيره أولى بلحق هذا الوعيد به .

الأمر الرابع : ترك موادة أعداء الله : قال الله تعالى : ﴿ لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ (١)

قال شيخ الإسلام : فأخبر سبحانه وتعالى : أنه لا يوجد مؤمن يواد كافرأ ، فمن واد الكفار فليس بمؤمن (٢) .

قلت : فإذا كان الله تعالى قد نفى الإيمان عن من واد أباه وأخاه وعشيرته - إذا كانوا محادين الله ورسوله - فمن واد الكفار الأبعدين عنه فهو أولى بأن لا يكون مؤمناً .

الأمر الخامس : ترك التشبه بالكفار في الأفعال الظاهرة : لأنها تورث نوع مودة ومحبة ، وموالاة في الباطن ، كما أن المحبة في الباطن تورث المشابهة في

(١) سورة المجادلة، الآية ٢٢

(٢) [افتضاء الصراط المستقيم] (١/٥٥١) .

الظاهر .

وهذا أمر يشهد به الحسُّ والتجربة ؛ حتى إن الرجلين إذا كانا من بلد واحد ثم اجتمعا في دار غربة - كان بينهما من المودة والموالاة والاتلاف أمرٌ عظيم ، وإن كانا في مَصرِهما لم يكونا متعارفين ، أو كانا مُتَهاجرين ؛ وذلك لأن الاشتراك في البلد نوعٌ وصفٌ اختصَّ به عن بلد الغربة ، بل لو اجتمع رجلان في سفر أو بلد غريب ، وكانت بينهما مشابهة في العمامة أو الثياب ، أو الشعر أو المركوب ، ونحو ذلك - لكان بينهما من الاتلاف أكثر مما بين غيرهما .

وكذلك تجد أرباب الصناعات الدنيوية ، يألف بعضهم بعضاً ، ما لا يألفون غيرهم ، حتى إن ذلك يكون مع المعاداة والمحاربة : إِمَّا على الملك ، وإمَّا على الدين .

وكذلك تجد الملوك ونحوهم من الرؤساء ، وإن تباعدت ديارهم وممالكهم - بينهم مناسبة تورث مشابهة

ورعاية من بعضهم لبعض، وهذا كله موجب الطباع
ومقتضاه، إلا أن يمنع من ذلك دين أو غرض خاص،
فإذا كانت المشابهة في أمور دنيوية، تورث المحبة
والموالاتة لهم، فكيف بالمشابهة في أمور دينية؟ فإن
إقتضاءها إلى نوع من الموالاتة أكثر وأشد، وهذا كلام شيخ
الإسلام ابن تيمية^(١).

قلت: فإذا كانت مشابهة الكفار في الأفعال الظاهرة
إنما نهى عنها؛ لأنها وسيلة وسبب يقضي إلى موالاتهم
ومحبتهم، فالنهى عن هذه الغاية والمحذور أشد، والمنع
منه وتحريمه أوكد، وهذا هو المطلوب.

ذكر بعض الدليل على النهي عن مشابهة الكفار
والمشركين:

روى أبو داود في [سننه] عن ابن عمر قال: قال رسول
الله ﷺ: «من تشبه بقوم فهو منهم».

(١) [اقتضاء الصراط المستقيم] (١/٥٤٩، ٥٥٠).

قال شيخ الإسلام: وإسناده جيد، وأقل أحواله: أنه يقتضي تحريم التشبه بهم، وإن كان ظاهره يقتضي كفر المشبه بهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فإِنَّهُمْ مِنْهُمْ﴾^(١).

وهو نظير ما سذكروه، عن عبدالله بن عمرو: أنه قال: من بنى بأرض المشركين، وصنع نيروزهم، ومهرجاناتهم، وتشبه بهم حتى يموت - حشر معهم يوم القيامة^(٢).

وقد ثبت عن عائشة رضي الله عنها: أنها كرهت الاختصار في الصلاة، وقالت: (لا تشبهوا باليهود)^(٣).

وروى البيهقي بإسناد صحيح، عن عطاء بن دينار قال: قال عمر بن الخطاب: (لا تعلموا رطانة الأعاجم،

(١) سورة المائدة، الآية ٥١.

(٢) [افتضاء الصراط المستقيم] (١/٢٦٩ - ٢٧١).

(٣) المرجع السابق (١/٣٨٨).

ولا تدخلوا على المشركين في كنائسهم يوم عيدهم، فإن
السخطة تنزل عليهم^(١).

وروى بإسناد صحيح عن أبي أسامة قال: حدثنا
عوف، عن أبي المغيرة، عن عبدالله بن عمرو قال: (من
بنى ببلاد الأعاجم، فصنع نيروزهم ومهرجاناتهم، وتشبه
بهم حتى يموت وهو كذلك - حُشِرَ معهم يوم القيامة)^(٢).

وهذا عمرُ نهى عن تعلُّم لسانهم، وعن مجرد دخول
الكنيسة عليهم يوم عيدهم، فكيف بفعل بعض أفعالهم؟!
أو فعل ما هو من مقتضيات دينهم؟! أليست موافقتهم في
العمل أعظم من الموافقة في اللغة؟ أو ليس عملُ بعض
أعمال عيدهم أعظم من مجرد الدخول عليهم في
عيدهم؟!

(١) [اقتضاء الصراط المستقيم] (٥١١/١)، وانظر [السنن الكبرى] للبيهقي (٢٣٤/٩).

(٢) [اقتضاء الصراط المستقيم] (٥١٣/١).

وإذا كان السخط يُزل عليهم يوم عيدهم بسبب
عملهم، فمن يَشْرِكهم في العمل أو بعضه: أليس قد
تعرض لعقوبة ذلك؟^(١)

وأما عبدالله بن عمرو: فصرّح أنه: (من بنى بيلادهم،
وصنع نيروزهم ومهرجاناتهم، وتشبه بهم حتى يموت
حُشْر معهم) وهذا يقتضي أنه جعله كافراً بمشاركتهم في
مجموع هذه الأمور، أو جعل ذلك من الكبائر الموجبة
لنار، وإن كان الأول ظاهر لفظه، فتكون المشاركة في
بعض ذلك معصية؛ لأنه لو لم يكن مؤثراً في استحقاق
العقوبة، لم يجر جعله جزءاً من المقتضى، إذ المباح
لا يُعاقب عليه، وليس الذمُّ على بعض ذلك مشروطاً
ببعض؛ لأن أبعاض ما ذكره يقتضي الذم منفرداً^(٢).

وعن عمرو بن ميمون الأودي قال: قال عمر رضي الله

(١) [اقتضاء الصراط المستقيم] (١/٥١٥: ٥١٦).

عنه: (كان أهل الجاهلية لا يُقيضون من جمع حتى تطلع الشمس، ويقولون: أشرق ثبير كيما تُغير) قال: فخالقهم النبي ﷺ، وأفاض قبل طلوع الشمس).

وقد روي في هذا الحديث - فيما أظنه - أنه قال: «خالف هدينا هدي المشركين»^(١) وكذلك كانوا يقيضون من عرفات قبل غروب الشمس، فخالقهم النبي ﷺ، بالإفاضة بعد الغروب^(٢).

وعن عبدالله بن عمرو قال: رأى رسول الله ﷺ عليَّ ثوبين مُعَصْفَرَيْن فقال: «إن هذه من ثياب الكفار، فلا تلبسها» رواه مسلم، علل النهي عن لبسها بأنها: من ثياب الكفار^(٣).

وفي كتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى عتبة بن فرقد: (إياك وزى أهل الشرك) وهو في

(١) [إقتضاء الصراط المستقيم] (١/ ٣٥٩).

(٢) المرجع السابق (١/ ٣٦٠).

[الصحيحين]^(١)

وروى الخال، عن محمد بن سيرين: أن خديجة بن
اليمان أتت بيتاً، فرأى فيه شيئاً من زي العجم، فخرج
وقال: (من تشبه بقوم فهو منهم)، وقال علي بن أبي صالح
السواق: (كنا في وليمة، فجاء أحمد بن حنبل، فلما دخل
نظر إلى كرسي في الدار عليه فضة، فخرج، فلحقه
صاحب الدار، فنفض يده في وجهه وقال: زي
المجوس، زي المجوس)^(٢) ||

وعن قيس بن أبي حازم قال: دخل أبو بكر الصديق
رضي الله عنه على امرأة من أحمس يقال لها: زينب،
فراها لا تتكلم، فقال: ما لها لا تتكلم؟ فقالوا: حجت
مُصَيِّتة، فقال لها: تكلمي، فإنَّ هذا لا يحل، هذا من
عمل الجاهلية، فتكلمت، فقالت: من أنت؟ قال: امرؤ

(١) [انقضاء الضراط المستقيم] (١/٣٦١).

(٢) المرجع السابق (٣٦١، ٣٦٢).

من المهاجرين، قالت: أيُّ المهاجرين؟ قال: من قريش،
 قالت: من أي قريش؟ قال: إنك لسؤول، وقال: أنا أبو
 بكر، قالت: ما بقاؤنا على هذا الأمر الصالح الذي جاء الله
 به بعد الجاهلية؟ قال: بقاؤكم عليه ما استقامت لكم
 أئمتكم، قالت: وما الأئمة؟ قال: أما كان لقومك رؤوس
 وأشراف، يأمرونهم فيطيعونهم؟ قالت: بلى، قال: فهم
 أولئك على الناس. رواه البخاري في [صحيحه].

فأخبر أبو بكر رضي الله عنه: أن الصمت المطلق
 لا يحل، وعقب ذلك بقوله: هذا من عمل الجاهلية؛
 قاصداً بذلك عيب هذا العمل وذمّه.

وتعقيب الحكم بالوصف: دليل على أن الوصف
 علة، فدل على أن كونه من عمل الجاهلية وصفٌ يوجب
 النهي عنه، والمنع منه^(١).

وقد كتب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه إلى

(١) [اختصاص الصراط المستقيم] (٣٧١ - ٣٧٢).

المسلمين المقيمين ببلاد فارس: (إياكم وزي أهل الشرك).

وهذا نهى منه للمسلمين عن كل ما كان من زي المشركين^(١).

وفي كتابه إلى عتبة بن فرقد: (إياكم والتنعيم، وزي أهل الشرك، وللبؤس الحرير)^(٢).

وروى الإمام أحمد في [المسند]: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان بالجابية - فذكر فتح بيت المقدس - قال حماد بن سلمة: فحدثني أبو سنان، عن عبيد بن آدم، قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لكعب: أين ترى أن أصلي؟ قال: إن أخذت عني صليت خلف الصخرة، فكانت القدس كلها بين يديك، فقال عمر رضي الله عنه: ضاهيت اليهودية!! لا، ولكن

(١) [إقتضاء الصراط المستقيم] (١/٣٧٢).

(٢) المرجع السابق (١/٣٧٣).

أصلي حيث صلى رسول الله ﷺ، فتقدم إلى القبلة فصلى، ثم جاء فبسط رداءه، فكسر الكناسة في رداءه، وكسر الناس^(١).

فعمر رضي الله عنه عاب على كعب^(٢) مضاهاة اليهودية، أي: مشابهتها في مجرد استقبال الصخرة؛ لما فيه من مشابهة من يعتقد لها قبلة باقية، وإن كان المسلم لا يقصد أن يصلي إليها.

وقد كان لعمر رضي الله عنه - في هذا الباب - من السياسات المحكمة ما هي مناسبة لسائر سيرته المرضية، فإنه رضي الله عنه هو الذي استحال ذنوب الإسلام بيده غرباً، فلم يفر عبقرئ فريه، حتى صدر الناس يعقلن، فأعز الإسلام، وأذل الكفر وأهله، وأقام شعار الدين الحنيف، ومنع من كل أمر فيه تدرع إلى تقص عرى

(١) [انقضاء الصراط المستقيم] (١/ ٣٧٣، ٣٧٤).

(٢) هو: كعب بن مالك الحميري، أبو إسحاق، المعروف بكعب الأجير.

الإسلام، مطيعاً في ذلك لله ولرسوله، وقافاً عند كتاب الله، ممثلاً لسنة رسول الله ﷺ، محتذياً حذو صاحبيه، مشاوراً في أموره للسابقين الأولين... حتى إن العمدة في الشروط على أهل الكتاب على شروطه، وحتى منع من استعمال كافر أو التماه على أمر الأمة، وإعزازه بعد إذ أذله الله، حتى روي عنه أنه حرق الكتب العجمية وغيرها، وهو الذي منع أهل البدع أن يبالغوا، وألزمهم ثوب الصغار^(١).

وروي الخلال بإسناده عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سأله رجل: أحتقن؟ قال: (لا تبد العورة، ولا تستن بسنة المشركين)، فقوله: (لا تستن بسنة المشركين) عام.

وروي أبو داود عن أنس: أنه دخل عليه غلام، وله قرنان أو قصتان، فقال: احلقوا هذين، أو قصوهما، فإن

(١) [انقضاء الصراط المستقيم] (١/ ٣٧٥ - ٣٧٧)

هذا زِي اليهود.

علل النهي عنهما بأن ذلك زِي اليهود، وتعليل النهي بعلّة يوجب أن تكون العلة مكروهة، مطلوب عدمها، نقل ذلك شيخ الإسلام^(١)

وقال أيضاً عند قوله ﷺ: «أهل بها عيد من أعياد الجاهلية؟»: وهذا نهى شديد عن أن يفعل شيء من أعياد الجاهلية على أي وجه كان.

وأعياد الكفار - من الكتابيين والأمينين - في دين الإسلام من جنس واحد، كما أن كفر الطائفتين سواء في التحريم، وإن كان بعضه أشد تحريماً من بعض^(٢).

وإذا كان الشارع قد حَسَمَ مادة أعياد أهل الأوثان خشية أن يتدنس المسلم بشيء من أمر الكفار، الذين قد ينس الشيطان أن يقيم أمرهم في جزيرة العرب؛ فالخشية من تدنسه بأوضاع^(٣)

(١) [أقضاء الصراط المستقيم] (١/ ٣٨٥، ٣٨٦)

(٢) المرجع السابق (١/ ٤٩٨)

(٣) الأوضاع هي الأوساخ

الكتابيين الباقين أشد، والنهي عنه أوكد،
إلى أن قال: بل قد بالغ عليه السلام في أمر أمته بمخالفتهم في
كثير من المباحات، وصفات الطاعات؛ لئلا يكون ذلك
ذريعة إلى موافقتهم في غير ذلك من أمورهم، ولتكون
المخالفة في ذلك حاجزاً ومانعاً عن سائر أمورهم، فإنه
كلما كثرت المخالفة بينك وبين أهل الجحيم كان أبعد عن
أعمال أهل الجحيم.

فليس بعد حرصه على أمته ونصحه لهم غاية - بأبي هو
وأمي - وكل ذلك من فضل الله عليه وعلى الناس، ولكن
أكثر الناس لا يعلمون^(١).

قلت: فإذا كانت مخالفتهم عليه السلام في أمر أمته بمخالفة
الكفار إنما هي خوفاً من أن تكون مشابهيهم في الهدى
الظاهر، مؤدية وجارة إلى الموافقة والمواالة، فما بال
كثير ممن يدعي الإسلام قد وقع في المحدثين بعينه، وهم

(١). [اختصاص الصراط المستقيم] (١/ ٢٩٩ - ٣٠٠).

مع ذلك يحسبون أنهم يحسنون صنعا؟!!

وروى أبو داود في [سننه] وغيره من حديث هشيم:
أخبرنا أبو بشر، عن أبي عمير بن أنس، عن عموحة له من
الأنصار، قال: اهتم النبي صلى الله عليه وآله وسلم
للصلاة، كيف يجمع الناس لها؟... فذكروا له شبور
اليهود، فلم يعجبه ذلك، وقال: «هو من أمر اليهود»،
قال: فذكروا له الناقوس، فقال: «هو من أمر النصارى»
الحديث^(١).

قال في [القاموس]: شبور، كتشور، البوق الذي يُنفخ
فيه ويَزْمُر. اهـ^(٢).

والغرض: أنه صلى الله عليه وآله وسلم لما كره بوق
اليهود: المنفوخ بالقم، وناقوس النصارى: المضروب

(١) أورده المؤلف مختصراً. انظر الحديث بتمامه في [سنن أبي داود]

(١/٢٤٣) كتاب الصلاة، باب بدء الأذان، حديث (٤٩٨).

(٢) [القاموس المحيط] (٥٦/٢).

باليد - علل هذا بأنه من أمر اليهود، وعلل هذا بأنه من أمر
النصارى؛ لأن ذكر الوصف عقيب الحكم، يدل على أنه
علة له، وهذا يقتضي نهيه عما هو من أمر اليهود
والنصارى.

وهذا يقتضي كراهة هذا النوع من الأصوات مطلقاً في
غير الصلاة أيضاً؛ لأنه من أمر اليهود والنصارى. فإن
النصارى كانوا يضربون بالنواقيس في أوقات متعددة، غير
أوقات عباداتهم.

وإنما شعار الدين الحنيف: الأذان المتضمن للإعلان
بذكر الله سبحانه وتعالى، الذي به تفتح أبواب السماء،
فتهرب الشياطين، وتنزل الرحمة.

وقد ابتلي كثير من هذه الأمة - من الملوك وغيرهم -
بهذا الشعار اليهودي والنصراني.

وهذه المشابهة لليهود والنصارى وللعاجم: من
الروم والفرس، لما غلبت على ملوك المشرق، هي

وأمثالها، مما خالفوا به هدى المسلمين، ودخلوا فيما كرهه الله ورسوله - سُلِّطَ عليهم الترك الكافرون، الموعود بقتالهم، حتى فعلوا في العباد والبلاد ما لم يجر في دولة الإسلام مثله؛ وذلك تصديق قوله ﷺ: «التركبن سنن من كان قبلكم». انتهى من [الاقتضاء] (١).

وكما وقع من العقوبة على مخالفة هدى المسلمين - بتسليط أهل الترك الكفار على ما ذكره شيخ الإسلام - وقع نظيره في هذه الأزمان، فإن المنتسبين إلى الإسلام لما سلكوا كثيراً من هدى اليهود والنصارى، وأهل الجاهلية المشركين والأعاجم أعداء الله، وتشبهوا بهم في كثير من الأمور - سُلِّطَ عليهم أهل الترك الكافرون الخارجون عن شرائع الإسلام.

فجرى على الإسلام محنٌ عظيمة، وأمور كبيرة، حتى أنهم يُدُّون الرئيس، ويمتهنون الشيخ الكبير، ولا

(١) [اقتضاء الصراط المستقيم] (١/٣٥٦ - ٣٥٨).

يرحمون العاجز ولا الضعيف، فأفسدوا الأديان، وخرَّبوا البلدان، وأهانوا الأبدان، وذلك بحكمة الديان، عقوبة على الظلم والعصيان، والله المستعان وعليه التكلان.

ولكن من رحمة الله تعالى أن الحق لا يزول، ويأبى الله إلا إظهار دين الرسول ﷺ يُريدون أن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٧﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾

فإذا محَّص الله أهل الإيمان، وانتهى ما عاقبهم به على العصيان، وشمخت أنوف أهل الفساد والكفران، وظنوا أنَّ الدولة لهم في غابر الأزمان، أظهر الله عليهم شمس الإسلام والإيمان، فمزقهم بها في أقرب أوان، وشردهم إلى أقصى البلدان.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى :

والله ناصر دينه وكتابه ورشوله في سائر الأزمان
لكن بمحنة حزبه من حربه ذا حكمه مذ كانت الفتان^(١)
وقال أيضاً :

والحق منصورٌ ومُمتَحَنٌ فلا تعجب فهذي سنة الرحمن
وبذاك يظهرُ حزبه من حربه ولأجلِ ذاك الناس طائفتان^(٢)

وقال شيخ الإسلام في الكلام على شروط أهل الذمة :
وذلك يقتضي : إجماع المسلمين على التمييز عن الكفار
ظاهراً، وترك النسب بهم ، ولقد كان أمراء الهدى مثل العمرين
وغيرهما ، يبالغون في تحقيق ذلك بما يتم به المقصود^(٣) .

وقد روى أبو الشيخ الأصبهاني : أن عمر رضي الله عنه
كتب : أن لا تكاتبوا أهل الذمة ، فتجري بينكم وبينهم

(١) [الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية الفصيحة النورية] للإمام ابن قيم الجوزية ،
عني بها عبد الله بن محمد العمير ، ط ، دار ابن خزيمة ، الرياض ، ص ١٤٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٥ .

(٣) [اقتضاء الصراط المستقيم] (١/ ٣٦٥) .

المودة، ولا تكنوهم، وأذلّوهم ولا تظلموهم^(١).
ثم قال: ومن جملة الشروط: ما يعود بإخفاء منكرات
دينهم، وترك إظهارها، ومنها: ما يعود بإخفاء شعار
دينهم، فاتفق عمر رضي الله عنه، والمسلمون معه،
وسائر العلماء بعدهم، ومن وفقه الله عز وجل من ولاية
الأمر - على منعه من أن يُظهروا في دار الإسلام شيئاً
مما يختصون به؛ مبالغة في أن لا يظهروا في دار الإسلام
خصائص المشركين، فكيف إذا عملها المسلمون
وأظهروها، ومنها: ما يعود بترك إكرامهم، والزامهم
الصغار الذي شرعه الله تعالى.

ومن المعلوم: أن تعظيم أعيادهم، ونحوها،
بالمرافقة: فيها نوعٌ من إكرامهم، فإنهم يفرحون بذلك،
ويُسرون به، كما يغمثون بإهمال أمر دينهم الباطل^(٢).

(١) [اقتضاء الصراط المستقيم] (١/٣٦٦، ٣٦٧).

(٢) المرجع السابق (١/٣٦٩).

قال شيخ الإسلام أيضاً: وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا أَنتَ مَشْهُودٌ بِشَيْءٍ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١١﴾ ، ومعلوم أن الكفار فرقوا دينهم، وكانوا شيعاً، كما قال سبحانه: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ ﴿٢٢﴾ ، وقد قال تعالى: لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿أَنتَ مَشْهُودٌ بِشَيْءٍ مِنْهُمْ﴾ ، وذلك يقتضي تبرؤهم في جميع الأشياء.

ومن تابع غيره في بعض أموره فهو منه في ذلك الأمر؛ لأن قول القائل: أنا من هذا، وهذا مني - أي: أنا من نوعه، وهو من نوعي - لأن الشخصين لا يتحدان إلا بالنوع، كما في قوله: ﴿بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ ﴿١٣﴾ ، وقوله عليه الصلاة والسلام لعلي: «أنت مني وأنا منك».

(١) سورة الأنعام، الآية ١٥٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٠٥.

(٣) سورة التوبة، الآية ٦٧.

فقول القائل : لست من هذا في شيء ، أي : لست
مشاركاً له في شيء ، بل أنا متبرئ من جميع أموره .

وإذا كان قد برأ اللهُ رسوله ﷺ من جميع أموره ، فمن
كان متبعاً للرسول ﷺ حقيقة كان متبرئاً كبرئته ، ومن كان
موافقاً لهم كان مخالفاً للرسول ﷺ بقدر موافقته لهم ، فإن
الشخصين المختلفين من كل وجه في دينهما ، كلما
شابهت أحدهما خالفه الآخر ^(١) .

وقال تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ
وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ
مِنَهُمْ ﴾ ^(٢) ، وقال سبحانه : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا
غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ ﴾ - يعيب بذلك
المنافقين الذين تولوا اليهود . . . إلى قوله : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا
يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّوْنَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾

(١) [اقتضاء الصراط المستقيم] (١/١٧٥ - ١٧٧) .

(٢) سورة المائدة، الآية ٥١ .

إلى آخر السورة^(١)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ إلى آخر السورة^(٢).

فمقد سبحاته وتعالى الموالاة بين المهاجرين والأنصار، وبين من آمن بعهدهم وهاجر وجاهد إلى يوم القيامة، والمهاجر: من هجر ما نهى الله عنه، والجهاد باق إلى يوم القيامة.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الآيتين^(٣).

وتظائر هذا في غير موضع من القرآن: يأمر سبحانه بموالاة المؤمنين حقاً - الذين هم حزبه وجنده - ويخبر أن هؤلاء لا يوالون الكافرين، ولا يوادونهم. والموالاة

(١) سورة المجادلة، الآيات ١٤ - ٢٢.

(٢) سورة الأنفال، الآيات ٧٢ - ٧٥.

(٣) سورة المائدة، الآيتان ٥٥، ٥٦.

والموادّة وإن كانت متعلّقة بالقلب، لكن المخالفة في الظاهر أعون على مقاطعة الكافرين ومبايستهم.

ومشاركتهم في الظاهر: إن لم تكن ذريعة، أو سبباً قريباً أو بعيداً إلى نوع ما من الموالاة والموادّة - فليس فيها مصلحة المقاطعة والمباينة، مع أنها تدعو إلى نوع ما من المواصلة - كما توجه الطبيعة^(١)، وتدل عليه العادة - ولهذا كان السلف رضي الله عنهم يستدلون بهذه الآيات على ترك الاستعانة بهم في الولايات.

فروى الإمام أحمد بإسناد صحيح، عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قلت لعمر رضي الله عنه: إن لي كاتباً نصرانياً، قال لي: ما لك؟! قاتلك الله، أما سمعت الله يقول: ﴿يَتَّخِذُ الَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ يَمْضِي أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ﴾^(٢) ألا اتخذت حنيفاً؟! قال: قلت: يا

(١) الطبيعة هنا بمعنى: الغطرة والجبلة والسجية التي جبل عليها الإنسان، انظر [مختار الصحاح] ص (٣٨٧) (ط ب ع).

(٢) سورة المائدة، الآية ٥١.

أمير المؤمنين، لي كتابته وله دينه، قال: لا أكرمهم إذ
أهانهم الله، ولا أعزهم إذ أذلهم الله، ولا أدنيهم إذ
أقصاهم الله.

ولما دل عليه معنى الكتاب: جاءت سنة رسول الله
ﷺ، وسنة خلفائه الراشدين - التي أجمع الفقهاء عليها -
بمخالفتهم وترك التشبه بهم.

ففي [الصحيحين] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:
قال رسول الله ﷺ: «إن اليهود والنصارى لا يصفون،
فخالفوهم» أمر بمخالفتهم، وذلك يقتضي أن يكون جنس
مخالفتهم أمراً مقصوداً للشارع؛ لأنه إن كان الأمر بجنس
المخالفة حصل المقصود، وإن كان الأمر بالمخالفة في
تغيير الشعر فقط - فهو لأجل ما فيه من المخالفة، فالمخالفة:
إما علة مفردة، أو علة أخرى، أو بعض علة، وعلى
التقديرات: تكون مأموراً بها مطلوبة من الشارع^(١).

(١) [إقتضاء الصراط المستقيم] (١/ ١٨١ - ١٨٦).

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾^(١)، قال الضحاك: الزور: عيد المشركين، رواه أبو الشيخ بإسناده، وبإسناده عنه: الزور: كلام الشرك، وبإسناده عن عمرو بن مرة: لا يماثلون أهل الشرك على شركهم ولا يخالطونهم، وبإسناده عن عطاء بن يسار قال: قال عمر: (إياكم ورطانة الأعاجم، وأن تدخلوا على المشركين يوم عيدهم في كنائسهم).

وقول هؤلاء التابعين: إنه أعياد الكفار، ليس مخالفاً لقول بعضهم: إنه الشرك، أو صنم كان في الجاهلية، ولقول بعضهم: إنه مجالس الحنا، وقول بعضهم: إنه الغناء؛ لأن عادة السلف في تفسيرهم هكذا، يذكر الرجل نوعاً من أنواع المسمى؛ لحاجة المستمع إليه، أو لينبه به على الجنس.

ووجه تفسير التابعين المذكورين: أن الزور: هو

(١) سورة الفرقان، الآية ٧٢.

المَحْسَن الممَّوهِ، حتى يظهر بخلاف ما هو عليه في الحقيقة... ولهذا فسرهُ السلف تارة: بما يظهر حسنه، لشبهة أو شهوة... فالشرك ونحوه: يظهر حسنه للشبهة، والغناء ونحوه: يظهر حسنه للشهوة.

وأما أعياد المشركين: فجمعت الشبهة والشهوة، وهي باطلة، إذ لا منفعة فيها في الدين، وما فيها من اللذة العاجلة، فعاقبتها إلى ألم، فصارت زوراً، وحضورها: شهودها، وإذا كان الله قد مدح ترك شهودها - الذي هو مجرد الحضور - برؤية أو سماع، فكيف بالموافقة بما يزيد على ذلك - من العمل الذي هو عمل الزور - لا مجرد شهوده^(١).

واعلم أنا لو لم نعلم من موافقتهم إلا ما قد أفضت إلى هذه القبائح؛ لكان عملنا بما وافقت الطباع عليه، واستدلنا بأصول الشريعة يوجب النهي عن هذه الذريعة، فكيف وقد رأينا من المنكرات - التي أفضت إليها

(١) [اقتضاء الصراط المستقيم] (١/ ٤٨٠ - ٤٨٣).

المشابهة - مما قد يوجب الخروج عن الإسلام بالكلية !!
وسر هذا: أن المشابهة تُقضي إلى كفر أو معصية
غالباً، أو تُقضي إليهما في الجملة، وما أفضي إلى ذلك
كان محرماً.

فهذا بعض ما جاء من الأدلة في النهي عن مشابهة
المشركين والكفار، ولكن رحم الله من تنبّه للسِر الذي
سبق الكلام لأجله، وهو: أن المشابهة في الهدى الظاهر
إنما تُنهي عنها؛ لأنها تورث نوع مودة وموالة في الباطن،
وتُفضي أيضاً إلى كفر أو معصية، وهذا هو السبب في
تحريمها والنهي عنها، فإذا علمت ذلك وتبين لك ما وقع
فيه كثير من الناس أو أكثرهم - من موالة الكفار
والمشركين التي إنما تُنهي عن هذه الأمور خوفاً من الوقوع
فيها - تبين لك أنهم وقعوا في نفس المحذور، وتوسطوا
مقارعة المهلكة.

والله الهادي إلى سواء الصراط.

فصل

في ذكر جوابات عن إیرادات أوردها بعض المسلمين
على أولاد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، فأجابوا
عنها رحمهم الله وعفا عنهم.

فمن ذلك: ما قولكم: في رجل دخل هذا الدين
وأحبه، ولكن لا يعادي المشركين، أو عاداهم ولم
يكفرهم، أو قال: أنا مسلم ولكن ما أقدر أكفر أهل لا إله
إلا الله، ولو لم يعرفوا معناها؟!

ورجل دخل هذا الدين وأحبه، ولكن يقول: لا
أعرض القباب، وأعلم أنها لا تنفع ولا تضر ولكن لا
أعرضها؟

فالجواب: أن الرجل لا يكون مسلماً إلا إذا عرف
التوحيد، ودان به، وعمل بموجبه، وصدق الرسول ﷺ
فيما أخبر به، وأطاعه فيما نهى عنه وأمر به، وآمن به وبما

جاء به .

فمن قال : لا أعادي المشركين ، أو عاداتهم ولم يكفرهم ، أو قال : لا أتعرض أهل لا إله إلا الله ، ولو فعلوا الكفر والشرك وعادوا دين الله ، أو قال : لا أتعرض القباب - فهذا لا يكون مسلماً ، بل هو ممن قال الله فيهم : ﴿ وَيَقُولُونَ نُوْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً ۝ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ۝ ﴾ (١) .

والله سبحانه وتعالى : أوجب معاداة المشركين ومناذرتهم ، وتكفيرهم فقال : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۝ ﴾ (٢) ، وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَمِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝ ﴾

(١) سورة النساء ، الآيات ١٥٠ ، ١٥١ .

(٢) سورة المجادلة ، الآية ٢٢ .

الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ ﴿١١﴾، وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ﴾ الآية ^(١٢)، والله أعلم.

نقل من جواب الشيخ حسين ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأخيه عبد الله.

وفي أجوبة أخرى: ما قولكم في الموالاة والمعاداة:
هل هي من معنى لا إله إلا الله، أو من لوازمها؟

الجواب: أن يقال: والله أعلم: حَسْبُ الْمُسْلِمِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِ عداوةَ الْمُشْرِكِينَ، وعدم موالاةِهم، وأوجب عليه محبة المؤمنين وموالاةِهم، وأخبر: أن ذلك من شروط الإيمان، ونفي الإيمان عمَّن يواد من حاد الله ورسوله، ولو كانوا: آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم.

(١) سورة المائدة، الآية ٥١.

(٢) سورة الممتحنة، الآية ١.

وأما كون ذلك من معنى لا إله إلا الله، أو من لوازمها : فلم يكلفنا الله بالبحث عن ذلك ، وإنما كلفنا بمعرفة أن الله فرض ذلك وأوجبه ، وأوجب العمل به ، فهذا هو الفرض واليحتتم الذي لا شك فيه .

ومن عرف أن ذلك من معناها ، أو من لوازمها - فهو حسن وزيادة خير ، ومن لم يعرف فلم يكلف بمعرفته ، لا سيما إذا كان الجدل في ذلك والمنازعة فيه مما يقضي إلى شر واختلاف ، ووقوع فرقة بين المؤمنين - الذين قاموا بواجبات الإيمان وجاهدوا في سبيل الله ، وعادوا المشركين ، ووالوا المسلمين - والمكوث على ذلك متعين . وهذا ما ظهر لي . على أن الاختلاف قريب من جهة المعنى ، والله أعلم ^(١)

(١) [فتا في حكم السفر إلى بلاد الشرك] للشيخ سليمان بن محمد بن عبد الوهاب ، بتحقيق د. الوليد بن عبد الرحمن آل فريان ، نشرت في (مجلة البحوث الإسلامية) ع ٢٥ ص (٢١٨ - ٢٢٠) .

فهذه بعض الأدلة الدالة على وجوب مقاطعة الكفار والمشركين وهي المسألة الأولى .

وأما المسألة الثانية : وهي الأشياء التي يصير بها المسلم مرتدًا :

فأحدها : الشرك بالله تعالى : وهو أن يجعل لله نداً من مخلوقاته يدعو كما يدعو الله ، ويخافه كما يخاف الله ، أو يتوكل عليه كما يتوكل على الله ، أو يصرف له شيئاً من عبادة الله ، فإذا فعل ذلك : كفر ، وخرج من الإسلام ، وإن صام النهار وقام الليل .

والدليل على ذلك : قول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَلَهُ بِعِصَّةٍ مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوهُ إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴾ (١) . وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ ﴾

فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١﴾
 وغير ذلك من الآيات الدالة على أن من أشرك مع الله
 تعالى في عبادته مخلوقاً من المخلوقين - فقد كفر، وخرج
 من الإسلام، وحبطت أعماله، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ
 أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٢)

الثاني: إظهار الطاعة والموافقة للمشركين على
 دينهم:

والدليل: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أَرَادُوا عَلَىٰ آذَانِهِمْ
 مِنْ بَعْدِ مَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا الْهَدْيَ الشَّيْطَانِ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ
 لَهُمْ ﴿١٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ
 سَطِيفًا لَكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿١٤﴾
 فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ بَصَرَتُ وُجُوهَهُمْ
 وَأُذِنَتْ لَهُمْ ﴿١٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَطَاعَ اللَّهُ

(١) سورة المؤمنون، الآية ١١٧

(٢) سورة الأنعام، الآية ٨٨

وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ ﴿٢٨﴾^(١).

وذكر الفقيه سليمان ابن الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب - في هذه المسألة - عشرين آية من كتاب الله وحديثاً عن رسول الله ﷺ^(٢)، استدل بها على أن المسلم إذا أظهر الطاعة والموافقة للمشركين من غير إكراه؛ أنه يكون بذلك مرتداً خارجاً من دين الإسلام، وإن كان يشهد أن لا إله إلا الله، ويفعل الأركان الخمسة - فإن ذلك لا ينفعه.

وقال شيخ الإسلام - المذكور إمام هذه الدعوة الحنيفية - في كلامه على آخر سورة الزمر:

الثانية: أن المسلم إذا أطاع من أشار عليه في الظاهر كفر، ولو كان باطناً يعتقد الإيمان، فإنهم لم يريدوا من النبي ﷺ تغيير عقيدته، ففيه بيان لما يكثر وقوعه ممن

(١) سورة محمد، الآيات ٢٥ - ٢٨.

(٢) هي الرسالة المعروفة بـ [الدلائل في حكم موالات أهل الإشراك].

يتسبب إلى الإسلام - في إظهار الموافقة للمشركين خوفاً منهم - ويظن أنه لا يكفر إذا كان قلبه كارهاً له .

إلى أن قال :

الثالثة : أن الذي يكفر به المسلم ليس هو عقيدة القلب خاصة ، فإن هؤلاء الذين ذكرهم الله لم يريدوا منه ﷻ تغيير العقيدة ، كما تقدم ، بل إذا أطاع المسلم من أشار عليه بموافقتهم لأجل ماله أو ببلده أو أهله - مع كونه يعرف كفرهم ويبغضهم - فهذا كافر ؛ إلا من أكره . . .

إلى أن قال رحمه الله : ولكن رحم الله من تنبه لسر الكلام ، وهو المعنى الذي نزلت فيه هذه الآيات : من كون المسلم يوافقهم في شيء من دينهم الظاهر ، مع كون القلب بخلاف ذلك ، فإن هذا هو الذي أرادوا من النبي ﷺ ، فافهمه فهماً حسناً ؛ لعلك تعرف شيئاً من دين إبراهيم عليه السلام ، وقد يادر أباه وقومه بالعداوة عنده .

وقال في سورة الكهف : التاسعة : المسألة العظيمة

المُشْكِلَة عَلَى أَكْثَرِ النَّاسِ . أَنَّهُ إِذَا وَافَقَهُمْ بِلِسَانِهِ مَعَ كَوْنِهِ مُؤْمِناً حَقّاً ، كَارَهَا لِمُوَافَقَتِهِمْ فَقَدْ كَذَّبَ فِي قَوْلٍ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَاتَّخَذَ إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ ، وَمَا أَكْثَرُ الْجَهْلِ بِهَذِهِ وَالَّتِي قَبْلَهَا . الْعَاشِرَة : أَنَّهُ لَوْ يَصْدُرُ مِنْهُمْ - أَعْنِي : مُوَافَقَةُ الْحَاكِمِ فِيمَا أَرَادَ مِنْ ظَاهِرِهِمْ - مَعَ كِرَاهَتِهِمْ لَذَلِكَ ، فَهُوَ قَوْلُهُ : ﴿ سَطَطًا ۚ ﴾ وَالشُّطُطُ : الْكُفْرُ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ إِظْهَارَ الْمُوَافَقَةِ وَالطَّاعَةِ لِلْمُشْرِكِينَ : لَهُ أَحْوَالٌ سِتَانِي فِي الْمَسْأَلَةِ الثَّالِثَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الْأَمْرُ الثَّالِثُ : مِمَّا يَصِيرُ بِهِ الْمُسْلِمُ مُرْتَدّاً : مُوَالَاةُ الْمُشْرِكِينَ : وَالْدَلِيلُ : قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ يَتَّخِذُوا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١)

وَقَوْلُهُ : ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ

الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ ﴿١﴾
 فذكر في الآية الأولى: أن من تولى اليهود والنصارى فهو
 منهم، وظاهرها: أن من تولاهم فهو كافر مثلهم، ذكر
 معناه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

وقد تقدم قول عبد الله بن عتبة عند قوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ
 مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾: (ليتى أحدكم أن يكون يهودياً أو نصرانياً
 وهو لا يشعر).

وقال ابن جرير في قوله: ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾
 يعني: فقد برىء من الله، وبرىء الله منه؛ لا رتداده عن
 دينه^(١).

وأما قوله: ﴿إِلَّا أَنْ تَكْفُوا مِنْهُمْ ثَمَنًا﴾^(٢)، فهي
 كقوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَسْكَنَهُ وَقُلُوبُهُ مَطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾^(٣).

(١) سورة آل عمران، الآية ٢٨.

(٢) [تفسير الطبري] (٣١٣/٦).

(٣) سورة آل عمران، الآية ٢٨.

(٤) سورة النحل، الآية ١٠٦.

وسياتي بيان ذلك إن شاء الله تعالى .

الأمر الرابع : الجلوس عند المشركين في مجالس شركهم من غير إنكار : والدليل : قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ نَرَاكَ عَلَيْهِمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا وَمِلْتَهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُتَّقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ۝ ﴾ (١)

وفي أجوبة آل الشيخ رحمهم الله تعالى : لما سُئِلُوا عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ ﴿ إِنَّكُمْ إِذَا وَمِلْتَهُمْ ﴾ وَعَنْ قَوْلِهِ ﷺ : « مَنْ جَامَعَ الْمُشْرِكَ وَسَكَنَ مَعَهُ فَهُوَ مِثْلُهُ » .

قالوا : الجواب : أن معنى الآية على ظاهرها ، وهو : أن الرجل إذا سمع آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها ، فجلس عند الكافرين المستهزئين بآيات الله من غير إكراه ولا إنكار ، ولا قيام عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره - فهو

(١) سورة النساء ، الآية ١٤٠ .

كافرٌ مثلهم وإن لم يفعل فعلهم ؛ لأن ذلك يتضمن الرضا بالكفر ، والرضا بالكفر كفر .

وبهذه الآية ونحوها استدل العلماء على أن الراضي بالذنب كفاعله ، فإن ادعى أنه يكره ذلك بقلبه لم يقبل منه ؛ لأن الحكم بالظاهر ، وهو قد أظهر الكفر فيكون كافرًا .

ولهذا لما وقعت الردة بعد موت النبي ﷺ ، وادعى أناس أنهم كرهوا ذلك - لم يقبل منهم الصحابة ذلك ، بل جعلوهم كلهم مرتدين ، إلا من أنكر بلسانه .

وكذلك قوله في الحديث : « من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله » على ظاهره ، وهو أن الذي يدعي الإسلام ويكون مع المشركين في الاجتماع والنصرة والمنزل معهم بحيث يعدّه المشركون منهم - فهو كافر مثلهم ، وإن ادعى الإسلام ، إلا إن كان يظهر دينه ولا يتولى المشركين .

انتهى (١)

قلت: ويأتي مخاطبة خالد لمُجاعة، وفيه:
(يامُجاعة، تركت اليوم ما كنت عليه أمس، وكان رضاك
بأمر هذا الكذاب، وسكوتك عنه إقراراً له) إلى آخره.

وتقدم قول عبد الله بن عمرو: (من بنى بيلاذ المشركين
فصنع نيروزهم ومهرجانهم وتشبه بهم حتى يموت - حُشِرَ
معهم يوم القيامة).

وقال تعالى: ﴿وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ
غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ
أَسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي
الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ۝﴾ (٢).

الأمر الخامس: الاستهزاء بالله أو بكتابه أو برسوله:

(١) [فتيا في حكم السفر إلى بلاد المشركين] نشرت في (مجلة
البحوث الإسلامية) ج ٢٥، ص (٢١٣ - ٢١٤).

(٢) سورة النحل، الآيات ١٠٦، ١٠٧.

والدليل على ذلك: قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيَاللّٰهِ وَعَآيِلِهِ
وَرَسُوْلِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُوْنَ﴾ (١) لَا تَعْدِرُوْا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ
إِيْمَانِكُمْ إِنْ نَعَفَ عَنْ طَآئِفَةٍ مِنْكُمْ تُعَذِّبْ طَآئِفَةٌ بِأَنَّهُمْ
كَانُوا مُجْرِمِيْنَ ﴿١١﴾

واعلم أن الاستهزاء على نوعين:

أحدهما: الاستهزاء الصريح: كالذي نزلت الآية فيه،
وهو قولهم: (ما رأينا مثل قرأتنا هؤلاء أرغب بطونا، ولا
أكذب السنا، ولا أجبن عند اللقاء)، أو نحو ذلك من
أقوال المستهزئين، كقول بعضهم: (دينكم هذا دين
خامس)، وقول الآخر: (دينكم أخرق)، وقول الآخر -
إذا رأى الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر -:
(جاءكم أهل الديك) بالكاف بدل النون، وقول الآخر - إذا
رأى طلبة العلم -: (هؤلاء الطلبة) بسكون اللام وما أشبه
ذلك، مما لا يحصى إلا بكلفة مما هو أعظم من قول

(١) سورة التوبة، الآيات ٦٥، ٦٦.

الذين نزلت فيهم الآية.

النوع الثاني : غير الصريح : وهو البحر الذي لا ساحل له ، مثل : الرَّمز بالعين ، وإخراج اللسان ، ومد الشفة ، والغمرة باليد عند تلاوة كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ ، أو عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

الأمر السادس : ظهور الكراهية والغضب عند الدعوة إلى الله وتلاوة كتابه ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : والدليل على ذلك : قول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا نُنَادِي عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا بِإِنتِبَاحٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُوبُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمُ ءَايَتِنَا قُلْ أَفَأَنْتُمْ بِشِرِّ مَن ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١﴾ ﴾ . فبين الله كفر هذا الصنف في أول هذه الآية وآخرها .

الأمر السابع : كراهة ما أنزل الله على رسوله من

(١) سورة الحج ، الآية ٧٢ .

الكتاب والحكمة : والدليل : قول الله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ ﴾ (١).

الأمر الثامن : عدم الإقرار بما دلت عليه آيات القرآن، والأحاديث، والمجادلة في ذلك : والدليل على ذلك : قول الله تعالى : ﴿ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْأَلْبَانِ ﴾ (٢).

الأمر التاسع : جمع الناس شيئاً من كتاب الله، ولو آية أو بعضها، أو شيئاً مما جاء عن النبي ﷺ : والدليل على ذلك : قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ (٣)، وهذا أخص من

(١) سورة محمد، الآية ٩.

(٢) سورة غافر، الآية ٤.

(٣) سورة النساء، الآيتان ١٥٠، ١٥١.

الذي قبله .

الأمر العاشر : الإعراض عن تعلّم دين الله ، والغفلة عن ذلك : والدليل : قول الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ ﴾ (١) .

الأمر الحادي عشر : كراهة إقامة الدين والاجتماع عليه : والدليل على ذلك : قول الله تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾ (٢) ، فذكر أنه لا يكره إقامة الدين إلا مشرك ، وقد تبين أن من أشرك بالله فهو كافر .

الأمر الثاني عشر : السحر : تعلمه وتعليمه ، والعمل بموجبه : والدليل على ذلك : قول الله تعالى : ﴿ وَمَا

(١) سورة الأحقاف ، الآية ٣ .

(٢) سورة الشورى ، الآية ١٣ .

يُعْلِمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴿١﴾

الأمر الثالث عشر: إنكار البعث: والدليل على ذلك:
قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا
أَوْنَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ
الْأَغْلَلُ فِي أَعْنَافِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ﴾ (٢).

الأمر الرابع عشر: التحاكم إلى غير كتاب الله وسنة
رسول الله ﷺ.

قال ابن كثير: كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من
الضلالات والجهالات...، وكما يحكم به التار من
السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم (جنكزخان)،
الذي وضع لهم [اليتاق] وهو: عبارة عن كتاب مجموع
من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى...، فصارت في

(١) سورة البقرة، الآية ١٠٢.

(٢) سورة الرعد، الآية ٥.

بنييه شرعاً متبعاً، يُقَدِّمُونَهَا عَلَى الْحُكْمِ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ.

وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ فَهُوَ كَافِرٌ يَجِبُ قِتَالُهُ، حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى حُكْمِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ، فَلَا يُحْكَمُ سِوَاهُ فِي قَلِيلٍ وَلَا كَثِيرٍ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ (١) أَي: يَسْتَغْنُونَ وَيُرِيدُونَ، وَعَنْ حُكْمِ اللَّهِ يَعْدِلُونَ، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (٢) (١).

قُلْتُ: وَمِثْلُ هَؤُلَاءِ مَا وَقَعَ فِيهِ عَامَّةُ الْبَوَادِي وَمَنْ شَابَهُهُمْ، مَنْ تَحْكِمُ عَادَاتُ آبَائِهِمْ، وَمَا وَضَعَهُ آوَائِلُهُمْ مِنَ الْمَوْضُوعَاتِ الْمَلْعُونَةِ الَّتِي يَسْمُونَهَا: (شُرْعُ الرِّفَاقَةِ)، يُقَدِّمُونَهَا عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ كَافِرٌ يَجِبُ قِتَالُهُ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى حُكْمِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ: وَلَا رَيْبَ أَنَّ مَنْ لَمْ يَعْتَقِدْ

(١) سورة الحائدة، الآية ٥٠.

(٢) [تفسير ابن كثير] (٣/١٣١).

وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله - فهو كافر ، فمن استحل أن يحكم بين الناس بما يراه هو عدلاً من غير اتباع لما أنزل الله - فهو كافر ، فإنه ما من أمة إلا وهي تأمر بالحكم بالعدل ، وقد يكون العدل في دينها ما رآه أكابرهم ، بل كثير من المتسبين إلى الإسلام يحكمون بعاداتهم التي لم ينزلها الله سبحانه وتعالى ؛ كسواليف البادية ، وكأوامر المطاعين فيهم ، ويرون أن هذا هو الذي ينبغي الحكم به دون الكتاب والسنة .

وهذا هو الكفر ، فإن كثيراً من الناس أسلموا ، ولكن مع هذا لا يحكمون إلا بالعادات الجارية التي يأمر بها المطاعون ، فهؤلاء إذا عرفوا أنه لا يجوز لهم الحكم إلا بما أنزل الله فلم يلتزموا ذلك ، بل استحلوا أن يحكموا بخلاف ما أنزل الله - فهم كفار . انتهى من [منهاج السنة النبوية] - ذكره عند قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ

الْكَافِرُونَ ﴿١١﴾ - فرحمه الله وعفا عنه (٢).

فهذه بعض المواضع التي دل القرآن عليها، وإن كان قد يقال: إن بعضها يغني عن بعض، أو يندرج فيه، فذكرها على هذا الوجه أوضح.

وأما كلام العلماء رحمهم الله تعالى فكثير جداً، وقد ذكر صاحب [الإقناع] أشياء كثيرة في باب حكم المرتد - وهو الذي يكفر بعد إسلامه - وقد لمختص منه مواضع يسيرة.

فمن ذلك قوله: قال الشيخ: أو كان مبغضاً لرسوله أو لما جاء به كفر اتفاقاً.

ومنها: قوله: أو جعل بينه وبين الله وسائط - يتوكل عليهم ويسألهم - كفر إجماعاً.

(١) سورة المائدة، الآية ٤٤.

(٢) [منهاج السنة النبوية في نقص كلام الشيعة البغوية] الشيخ الإسلام

ابن تيمية، تحقيق د/ محمد رشاد سالم (٥/ ١٣٠).

ومنها: قوله: أو وجد منه امتهان للقرآن، أي: فيكفر بذلك.

ومنها: قوله: أو سخر بوعده الله أو بوعيده، أي: فيكفر بذلك.

ومنها: قوله: أو لم يكفر من دان بغير الإسلام أو شك في كفرهم، أي: فيكفر بذلك.

ومنها: قوله: قال الشيخ: ومن استحل الحشيشة كفر بلا نزاع^(١).

قلت: من استحل موالاة المشركين ومظاهرتهم وإعانتهم على المسلمين - فكفره أعظم من كفر هذا؛ لأن تحريم ذلك أكد وأشد من تحريم الحشيشة.

ومنها: قوله: ومن نسب الصحابة أو أحداً منهم واقترن بسية دعوى أن علياً إله أو نبي، أو أن جبرائيل غلط - فلا

(١) [الإقناع لطالب الانساع] للحجاوي - تحقيق د/ عبدالله التركي

شك في كفر هذا، بل لا شك في كفر من توقف في تكفيره.

ومنها: قوله: أو زعم أن للقرآن تأويلات باطلة تُسقط الأعمال المشروعة، ونحو ذلك - فلا خلاف في كفر هؤلاء.

ومنها: قوله: أو زعم أن الصحابة ارتدوا بعد رسول الله ﷺ إلا نفرًا قليلًا لا يبلغون بضعة عشر، أو أنهم فسقوا - فلا ريب أيضاً في كفر قائل ذلك، بل من شك في كفره فهو كافر^(١). انتهى ملخصاً، وعزاه [الصارم المسلول]^(٢).

ومنها: قوله: ومن أنكر أن أبا بكر صاحب رسول الله ﷺ - فقد كفر؛ لقوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾^(٣).

(١) [الإقناع] (٤/٢٨٩، ٢٩٠).

(٢) [الصارم المسلول على شأنه الرسول] الشيخ الإسلام ابن تيمية - حقه وفضله

وعلق حواشيه / محمد محي الدين عبد الحميد، ص (٥٨٦، ٥٨٧)

(٣) سورة التوبة، الآية ٤٠.

قلت : فإذا كان من جحد مدلول آية كفر ، ولم تنفعه الشهادتان ، ولا الانتساب إلى الإسلام ، فما الظن بمن جحد مدلول ثلاثين آية أو أربعين آية ، أفلا يكون كافراً لا تنفعه الشهادتان ولا ادعاء الإسلام ؟! بلى والله ، بلى والله ، ولكن نعوذ بالله من رين القلوب وهوى النفوس اللذان يصدان عن معرفة الحق واتباعه .

ومنها : قوله : أو جحد حل الخبز أو اللحم أو الماء - أي : فيكفر بذلك .

ومنها : قوله : أو أحل الزنا وتحوره - أي : فيكفر بذلك .

قلت : ومن أحل الركون إلى الكافرين وموادة المشركين - فهو أعظم كفراً ممن أحل الزنا بأضعاف مضاعفة .

وكلام العلماء رحمهم الله تعالى في هذا الباب لا يمكن حصره ، حتى أن بعضهم ذكر أشياء أسهل من هذه الأمور ، وحكموا على مرتكبها بالارتداد عن الإسلام ، وأنه يستتاب منها ، فإن تاب وإلا قتل مرتداً ،

ولم يُغسَّل، ولم يصلَّ عليه، ولم يدفن مع المسلمين، وهو مع ذلك يقول: لا إله إلا الله، ويفعل الأركان الخمسة. ومن له أدنى نظر وإطلاع على كلام أهل العلم فلا بد أن يكون قد بلغه بعض ذلك.

وأما هذه الأمور التي تقع في هذه الأزمان - من المنتسبين إلى الإسلام، بل من كثير ممن يتسبب إلى العلم - فهي من قواصم الظهور، وأكثرها أعظم وأفحش من كثير مما ذكره العلماء من المكفرات، ولولا ظهور الجهل وخفاء العلم وغلبة الأهواء لما كان أكثرها محتاجاً لمن ينبه عليه.

فصل

وأما المسألة الثالثة : وهي ما يعذر الرجل به على موافقة
المشركين ، وإظهار الطاعة لهم : فاعلم أن إظهار الموافقة
للمشركين له ثلاث حالات :

الحالة الأولى : أن يوافقهم في الظاهر والباطن ، فيتقاد
لهم بظاهره ، ويميل إليهم ويؤاذهبهم بباطنه - فهذا كافر
خارج من الإسلام ، سواء أكان مكرهاً على ذلك أو لم
يكن مكرهاً ، وهو ممن قال الله فيه : ﴿ وَلَئِنْ مَنَّ شَرْحُ
بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْنَاهُمْ غَضَبٌ مِّنْ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ
عَظِيمٌ ﴾ (١)

الحالة الثانية : أن يوافقهم ويميل إليهم في الباطن مع
مخالفتهم في الظاهر - فهذا كافر أيضاً ، ولكن إذا عمل
بالإسلام ظاهراً عصم ماله ودمه ، وهو المنافق .

(١) سورة الحديد ، الآية ١٠٦ .

الحالة الثالثة: أن يوافقهم في الظاهر مع مخالفته لهم في الباطن، وهو على وجهين:

أحدهما: أن يفعل ذلك لكونه في سلطانهم مع ضربهم أو تشييدهم له، أو يتهددونه بالقتل، فيقولون له: إما أن توافقنا وتظهر الانقياد لنا، وإلا قتلناك، فإنه والحالة هذه يجوز له موافقتهم في الظاهر مع كون قلبه مطمئناً بالإيمان، كما جرى لعمار حين أنزل الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾^(١)، وكما قال تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَكْفُؤُوا مِنْهُمْ ثُنَّةً﴾^(٢)، فالآيتان دللتا على الحكم، كما نبه على ذلك ابن كثير في تفسير آية آل عمران^(٣).

الوجه الثاني: أن يوافقهم في الظاهر مع مخالفتهم لهم في الباطن، وهو ليس في سلطانهم، وإنما حمله على

(١) سورة النحل، الآية ١٠٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٢٨.

(٣) [تفسير ابن كثير] (٢/٣٠).

ذلك؛ إما طمع في رئاسة أو مال، أو مشقة بوطن أو عيال
أو خوف مما يحدث في المال، فإنه في هذه الحال يكون
مرتداً، ولا تنفعه كراهته لهم في الباطن، وهو ممن قال الله
فيهم: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى
الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (١).

فأخبر: أنه لم يحملهم على الكفر الجهل بالحق أو
بغضه، ولا محبة الباطل، وإنما هو: أن لهم حظاً من
حفظ الدنيا فأثروه على الدين، هذا معنى كلام شيخ
الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى وعفا عنه.

وأما ما يعتقده كثير من الناس عذراً فإنه من تزيين
الشيطان وتسويله، وذلك أن بعضهم إذا خوفه أولياء
الشيطان خوفاً لا حقيقة له ظن أنه يجوز له بذلك إظهار
الموافقة للمشركين، والانقياد لهم، وآخر منهم إذا زين له
الشيطان طمعاً دنيوياً تخيل أنه يجوز له موافقة المشركين

لأجل ذلك، وشبه على الجبهال أنه مكره.

وقد ذكر العلماء صفة الإكراه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: تأملت المذهب، فوجدت الإكراه يختلف باختلاف المكره عليه، فليس الإكراه المعبر في كلمة الكفر كالإكراه المعبر في الهبة ونحوها، فإن أحمد قد نص - في غير موضع - على أن الإكراه على الكفر لا يكون إلا بتعذيب من ضرب أو قيد، ولا يكون الكلام إكراهاً.

وقد نص على أن المرأة لو وهبت زوجها صداقها أو مسكنها - فلها أن ترجع؛ بناءً على أنها لا تهب له إلا إذا خافت أن يطلقها أو يسيء عشرتها، فجعل خوف الطلاق أو سوء العشرة إكراهاً في الهبة، ولفظه في موضع آخر؛ لأنه أكرهها، ومثل هذا لا يكون إكراهاً على الكفر، فإن الأمير إن خشي من الكفار أن لا يزوجه أو أن يحولوا بينه

وبين امرأته لم يبح له التكلم بكلمة الكفر. اهـ^(١).
 والمقصود منه: أن الإكراه على كلمة الكفر لا يكون
 إلا بالتعذيب، من ضرب أو قيد، وأن الكلام لا يكون
 إكراهاً، وكذلك الخوف من أن يحول الكفار بينه وبين
 زوجته لا يكون إكراهاً.

فإذا علمت ذلك وعرفت ما وقع من كثير من الناس -
 تبين لك قول النبي ﷺ: «بدأ الإسلام غريباً، وسيعود كما
 بدأ غريباً» وقد عاد غريباً، وأغرب منه من يعرفه على
 الحقيقة، وبالله التوفيق.

(١) [الفتاوى الكبرى] لشيخ الإسلام ابن تيمية - تحقيق / محمد

ومصطفى عبدالقادر عطاء - ط - دار الكتب العلمية (٥/ ٢٨٩٠)

فصل

وأما المسألة الرابعة: وهي مسألة إظهار الدين: فإن كثيراً من الناس قد ظن: أنه إذا قدر على أن يتلفظ بالشهادتين، وأن يصلي الصلوات الخمس، ولا يرد عن المسجد - فقد أظهر دينه، وإن كان مع ذلك بين المشركين أو في أماكن المرتدين.

وقد غلطوا في ذلك أقبح الغلط، وأخطأوا أكبر الخطأ. واعلم أن الكفر له أنواع وأقسام تتعدد بتعدد المكفرات، وقد تقدم بعض ذلك، وكل طائفة من طوائف الكفر قد اشتهر عندها نوع منه، ولا يكون المسلم مظهراً لدينه حتى يخالف كل طائفة بما اشتهر عندها، ويصرح لها بعادوتها، والبراءة منه، فمن كان كفرةً بالشرك فإظهار الدين عنده: التصريح بالتوحيد، والنهي عن الشرك والتحذير منه، ومن كان كفرةً بجحد الرسالة فإظهار الدين عنده: التصريح بأن محمداً رسول الله ﷺ،

والدعوة إلى اتباعه، ومن كان كفره بترك الصلاة فإظهار الدين عنده: فعل الصلاة، والأمر بها، ومن كان كفره بمخالفة المشركين والدخول في طاعتهم، فإظهار الدين عنده: التصريح بعداوته، والبراءة منه، ومن المشركين.

وبالجملة: فلا يكون مظهراً لدينه إلا من صرح لمن ساكنه من كل كافر ببراءته منه، وأظهر له عداوته لهذا الشيء الذي صار به كافراً، وبرأته منه؛ ولهذا قال المشركون لعن النبي ﷺ: عاب ديننا وسفه أحلامنا وشتم أللهتنا.

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّكُم وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ (١)

فأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يقول لهم: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ إلى آخر الآيات، أي: إذا شككتهم في الدين الذي أنا عليه، فدينكم الذي أنتم عليه أنا بريء منه، وقد أمرني ربي أن أكون من المؤمنين الذين هم أعداؤكم، ونهاني أن أكون من المشركين الذين هم أولياؤكم، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا الْكُفْرُوتُ﴾ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) إلى آخر السورة (١).

فأمر الله رسوله ﷺ أن يقول للكفار: دينكم الذي أنتم عليه أنا بريء منه، وديني الذي أنا عليه أنتم برآء منه، والمراد: التصريح لهم بأنهم على الكفر، وأنه بريء منهم ومن دينهم.

فعلى من كان متبعاً للنبي ﷺ أن يقول ذلك، ولا يكون مظهراً لديته إلا بذلك؛ ولهذا لما عمل الصحابة بذلك وأذاهم المشركون - أمرهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم

بالهجرة إلى الحبشة، ولو وجد لهم رخصة في السكوت عن المشركين لما أمرهم بالهجرة إلى بلد الغربة.

وفي السيرة: أن خالد بن الوليد لما وصل إلى العرض - في مسيره إلى أهل اليمامة لما ارتدوا - قدّم مائتي فارس، وقال: من أصبتم من الناس فخذوه، فأخذوا (مُجَاعَة) في ثلاثة وعشرين رجلاً من قومه، فلما وصل إلى خالد قال له: يا خالد، لقد علمتُ أنني قدِمْتُ على رسول الله ﷺ في حياته، فبايعته على الإسلام، وأنا اليوم على ما كنت عليه أمس، فإن يك كذاباً قد خرج فينا، فإن الله يقول: ﴿لَزِزْ وَازِدْ وَزَرْ أُخْرَى﴾^(١)، فقال: يا مُجَاعَة، تركت اليوم ما كنت عليه أمس، وكان رضاك بأمر هذا الكذاب وسكوتك عنه - وأنت أعز أهل اليمامة، وقد بلغك مسيري - إقراراً له، ورضاء بما جاء به، فهلاً أبديت عذراً، وتكلمت فيمن تكلم! فقد تكلم ثمامة فرداً وأنكر،

(١) سورة الإسراء، الآية ١٥.

وتكلم الشكري .

فإن قلت : أخاف قومي ، فهلاً عمدت إلي ، أو بعثت إلي رسولاً ، فقال : إن رأيت يابن المغيرة أن تعفو عن هذا كله !! فقال : قد عفوت عن دمك ، ولكن في نفسي حرج من تركك^(١) . اهـ .

وسياتي في ذكر الهجرة قول أولاد الشيخ : إن الرجل إذا كان في بلد كفر وكان يقدر على إظهار دينه عندهم ، ويتبرأ منهم ومما هم عليه ، ويظهر لهم كفرهم وعداوته لهم ، ولا يفتنونه عن دينه لأجل عشيرته أو ماله - فهذا لا يحكم بكفره . . إلى آخره .

والمقصود منه : أن الرجل لا يكون مظهرأ لدينه حتى يشرأ من أهل الكفر الذي هو بين أظهرهم ، ويصرح لهم : بأنهم كفار ، وأنه عدو لهم ، فإن لم يحصل ذلك لم يكن إظهار الدين حاصلأ .

(١) [الطبقات الكبرى] لابن سعد ط - دار صادر - بيروت (٥/٥٤٩)

فصل

وأما المسألة الخامسة : وهي مسألة الاستضعاف : فإن كثيراً من الناس - بل أكثر ممن ينتسب إلى العلم في هذه الأزمان - غلطوا في معنى الاستضعاف وما هو المراد به ، وقد بين الله ذلك في كتابه بياناً شافياً ، فقال تعالى : ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقِيلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ۝١١﴾^(١) فيبين تعالى مقاتلتهم الدالة على أنهم لم يقيموا مختارين للمقام ، وذلك أنهم يدعون الله أن يخرجهم ، فدل على حرصهم على الخروج ، وأنه متعذر عليهم . ويدل على ذلك : وصفهم أهل القرية بالظلم ، وسؤالهم ربهم أن يجعل لهم ولياً يتولاهم ويتولونه ، وأن

يجعل لهم ناصراً ينصُرهم على أعدائهم الذين هم بين أظهرهم، وقال تعالى: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾^(١).

فذكر في هذه الآية حالتهم التي هم عليها، وهي: أنهم لا يستطيعون حيلة.

قال ابن كثير: لا يقدرُونَ على التخلص من أيدي المشركين، ولو قدرُوا ما عرفُوا يسلُكون الطريق؛ ولهذا قال: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾، قال عكرمة: يعني: نهوضاً إلى المدينة، ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ قال مجاهد وعكرمة: يعني: طريقاً، اهـ^(٢).

والحاصل: أن المستضعفين هم العاجزون عن الخروج من بين أظهر المشركين، وهم مع ذلك يقولون: ﴿وَبِنَا أَخْرَجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ

(١) سورة النساء، الآية ٩٨.

(٢) [تفسير ابن كثير] (٢/٣٩٠).

وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴿١﴾ ، وهم مع ذلك لا يدلُّون الطريق ، فمن كانت هذه حاله ، وذلك مقاله ﴿ فَأُولَٰئِكَ عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًا عَفُورًا ﴾ ﴿٧٦﴾ ﴿٢﴾ .
وأما إذا كان يقدر على الخروج من بلاد المشركين ولم يمنعه من ذلك إلا المشقة بوطنه ، أو عشيرته أو ماله ، أو غير ذلك - فإن الله تعالى لم يعذر من تعذر بذلك ، وسماه ظالماً لنفسه ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الظَّالِمِينَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ ﴿٧٧﴾ ﴿٣﴾ .

وفي [تفسير الجلالين] : قوله : ﴿ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ ﴾ أي : بالمقام مع الكفار وترك الهجرة ﴿٤﴾ .

(١) سورة النساء الآية ٧٥ .

(٢) سورة النساء الآية ٩٩ .

(٣) سورة النساء الآية ٩٧ .

(٤) [تفسير الجلالين] للإمامين الجليلين : جلال الدين المحلي وجمال الدين

السوطي - مكتبة العلوم الدينية لصاحبة والنشر - بيروت - لبنان ، ص ٩٤ .

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى : فهذه الآية الكريمة عامة في كل من أقام بين ظهرائي المشركين ، وهو قادر على الهجرة ، وليس متمكناً من إقامة الدين - فهو ظالم لنفسه ، مرتكب حراماً ، بالإجماع ، وينص هذه الآية ، حيث يقول : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ أي : بترك الهجرة ﴿ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ ﴾ أي : لِمَ مَكُنْتُمْ هاهنا وتركتم الهجرة ؟ ﴿ قَالُوا كُنَّا مُتَضَعِّفِينَ فِي الْأَرْضِ ﴾ أي : لا نقدر على الخروج من البلد ، ولا الذهاب في الأرض . ﴿ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ (١)

وروى أبو داود ، عن سمرة بن جندب مرفوعاً : « من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله » .

وقال الشدي : لما أسر العباس وعقيل ونوفل ، قال رسول الله ﷺ للعباس : « افد نفسك ، وابن أخيك » قال : يا رسول الله ، أَلَمْ تُصَلِّ قَبْلَتَكَ ، ونشهد شهادتك ؟ !

قال: «يا عباس، إنكم خاصمتهم فخصمتم» ثم تلا عليه هذه الآية ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَلَهَا جُرُوا فِيهَا﴾ الآية، رواه ابن أبي حاتم. انتهى (١).

والمقصود منه: بيان مسألة الاستضعاف، وأن المستضعف هو: الذي لا يستطيع حيلة ولا يهتدي سبيلاً، وهو مع ذلك يقول: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ (٢).

وبيان أن الذي يعتذر بوطنه أو عشيرته أو ماله، ويدعي أنه يكون بذلك مستضعفاً - كاذبٌ في دعواه، وعذره غير مقبول عند الله تعالى، ولا عند رسوله، ولا عند أهل العلم بشريعة الله.

(١) [نفس ابن كثير] (٢/٣٨٩).

(٢) سورة الباء، الآية ٧٥.

فصل

أما المسألة السادسة: وهي وجوب الهجرة، وأنها
 باقية: فالدليل عليه: قول النبي ﷺ: «لا تنقطع الهجرة
 حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من
 مغربها» رواه أحمد وأبو داود.

وروى أبو يعلى، عن أزهر بن راشد قال: حدث أنس
 عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «لا تستضيئوا
 بنار المشركين».

قال ابن كثير: معناه: لا تقاربوهم في المنازل بحيث
 تكونوا معهم في بلادهم، بل تباعدوا منهم، وهاجروا من
 بلادهم؛ ولهذا روى أبو داود: «لا تتراءى نارهما»، وفي
 الحديث الآخر: «من جامع المشرك أو سكن معه فهو
 مثله».

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْغَالِبِينَ ظَالِمِينَ لِنَفْسِهِمْ

قَالُوا فِيهِ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُتَضَاعِفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضًا
 اللَّهُ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ
 مَصِيرًا ﴿٩٧﴾

وروى ابن أبي حاتم، عن ابن عباس قال: كان قوم من
 أهل مكة أسلموا، وكانوا يتخفون بالإسلام، فأخرجهم
 المشركون يوم بدر معهم، فأصيب بعضهم بفعل بعض،
 فقال المسلمون: كان أصحابنا هؤلاء مسلمين،
 وأكبرهوا، فاستغفروا لهم، فنزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ
 الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ الآية.

وقال الضحاك: نزلت في أناس من المنافقين، تخلفوا
 عن رسول الله ﷺ بمكة، وأخرجوا مع المشركين يوم بدر،
 فأصيبوا فيمن أصيب. ذكره ابن كثير.

ثم قال: فهذه الآية الكريمة عامة في كل من أقام بين
 ظهري المشركين، وهو قادر على الهجرة، وليس متمكناً

من إقامة الدين - فهو ظالم لنفسه مرتكب حراماً بالإجماع ونقض هذه الآية^(١) إلى آخر كلامه الذي تقدم قريباً.

وفي أجوبة آل الشيخ لما سُئلوا: هل يجوز للمسلم أن يسافر إلى بلد الكفار لأجل التجارة أم لا؟

الجواب: الحمد لله، إن كان يقدر على إظهار دينه، ولا يوالي المشركين - جاز له ذلك، فقد سافر بعض الصحابة - كأبي بكر رضي الله عنه وغيره من الصحابة - إلى بلدان المشركين لأجل التجارة، ولم ينكر ذلك النبي ﷺ، كما رواه أحمد في [مسنده] وغيره.

وإن كان لا يقدر على إظهار دينه، ولا على عدم موالاتهم - لم يجز له السفر إلى ديارهم، كما نص على ذلك العلماء، وعليه تُحمل الأحاديث التي تدل على النهي عن ذلك، ولأن الله تعالى أوجب على الإنسان العمل بالتوحيد، وفرض عليه عداوة المشركين، فما كان

(١) [تفسير ابن كثير] (٢/٣٨٩).

ذريعة وسبباً إلى إسقاط ذلك لم يعجز .

وأيضاً فقد يجزئه ذلك إلى موافقتهم وإرضائهم ، كما هو الواقع كثيراً ممن يسافر إلى بلدان المشركين من فساق المسلمين^(١) ، نعوذ بالله من ذلك .

المسألة الثانية : هل يجوز للمسلم أن يسافر إلى بلد الكفار وشعائر المشركين ظاهرة لأجل التجارة أم لا ؟
الجواب عن هذه المسألة : هو الجواب عن التي قبلها سواء ، ولا فرق في ذلك بين دار الحرب ودار الصلح ، فكل بلد لا يقدر المسلم على إظهار دينه فيها لا يجوز له السفر إليها .

المسألة الثالثة : هل يترق بين المدة القريبة - مثل : شهر أو شهرين وبين المدة البعيدة ؟

الجواب : أنه لا فرق بين المدة القريبة ولا المدة البعيدة ، فكل بلد لا يقدر المسلم على إظهار دينه فيها ،

ولا على عدم موالاته المشركين - لا يجوز له المقام فيها ولا يوماً واحداً، إذا كان يقدر على الخروج منها. انتهى^(١).

وفي أجوبة أخرى: ما قولكم في رجل دخل هذا الدين وأحبه، ويحب من دخل فيه، ويبغض الشرك وأهله، ولكن أهل بلده يصرون بعداوة أهل الإسلام، ويقاثلون أهله، ويعتذر بأن ترك الوطن يشق عليه، ولم يهاجر عنهم بهذه الأعذار فهل يكون مسلماً هذا أم كافراً؟

الجواب: أما الرجل الذي عرف التوحيد وآمن به وأحبه وأحب أهله، وعرف الشرك وأبغضه وأبغض أهله، ولكن أهل بلده على الكفر والشرك ولم يهاجر منهم فهذا فيه تفصيل:

فإن كان يقدر على إظهار دينه عندهم، ويترأ منهم ومما هم عليه من الدين، ويظهر لهم كفرهم وعداوته

(١) [فتاوى حكم الشر إلى بلاد الشرك] نشرت في مجلة البحوث

(الإسلامية) ج ٢٥ ص (٢١٠ - ٢١٣).

لهم، ولا يفتنونه عن دينه لأجل عشيرته أو ماله أو غير ذلك - فهذا لا يحكم بكفره، ولكنه إذا قدر على الهجرة ولم يهاجر ومات بين أظهر المشركين - فتخاف أن يكون قد دخل في أهل هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْكُفْرَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ﴾ الآيتين، فلم يعذر الله إلا من لم يستطع حيلة ولا يهتدي سبيلاً.

ولكن قل أن يوجد اليوم من هو كذلك، بل الغالب أن المشركين لا يدعونه بين أظهرهم، بل إما قتلوه وإما أخرجوه. وأما من ليس له عذر في ترك الهجرة، وجلس بين أظهرهم، وأظهر لهم أنه منهم، وأن دينهم حق ودين الإسلام باطل - فهذا كافر مرتد، ولو عرف الدين بقلبه؛ لأنه بمنعه عن الهجرة محبة الدنيا عن الآخرة، وتكلم بكلام الكفر من غير إكراه، فدخل في قوله: ﴿وَلَكِنْ مَن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا﴾ الآيات^(١).

(١) سورة النحل، الآية ١٠٦.

هذا من جواب الشيخ حسين والشيخ عبدالله ابني الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمهم الله تعالى وعفا عنهم.

ولما سُئِلُوا عَنْ أَهْلِ بَلَدٍ بَلَغَتْهُمْ هَذِهِ الدَّعْوَةُ، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: هَذَا الْأَمْرُ حَقٌّ، وَلَا غَيْرَ مُنْكَرٍ، وَلَا أَمْرٌ بِمَعْرُوفٍ، وَنُكِرُ عَلَى الْمُوَحِّدِينَ إِذَا قَالُوا: تَبَرَّأْنَا مِنْ دِينِ الْأَبَاءِ وَالْأَجْدَادِ، وَالَّذِي يَقُولُ: هَذَا الْأَمْرُ زَيْنٌ، لَا يُمْكِنُ يَقُولُهُ جَهَاراً.

أَجَابُوا: بَأَنَّ أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الْمَذْكُورَةِ إِذَا كَانُوا قَدْ قَامَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ الَّتِي يَكْفُرُ مَنْ خَالَفَهَا حُكْمُهُمْ حُكْمُ الْكُفَّارِ، وَالْمُسْلِمُ الَّذِي بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ، وَلَا يُمْكِنُ إِظْهَارُ دِينِهِ - تَجِبَ عَلَيْهِ الْهَجْرَةُ، إِذَا لَمْ يَكُنْ مِمَّنْ عَذَرَهُ اللَّهُ، فَإِنْ لَمْ يُهَاجَرَ فُحْكَمَ حُكْمُهُمْ فِي الْقَتْلِ وَأُخِذَ الْمَالُ. انتهى.

وفي هذه الأجوبة مسائل:

منها: بيان المستضعف، وأنه: الذي لا يستطيع حيلة، ولا يهتدي سبيلاً، وقد تقدّم ذلك.

ومنها: أن المسلم إذا لم يقدر على إظهار دينه وجبت عليه الهجرة، وقد تقدم أيضاً.

ومنها: صفة إظهار الدين، وهو أن يُصرِّح للكفار بكفرهم، وعداوتهم لهم، ولما هم عليه من الدين، وقد تقدم أيضاً.

ومنها: بيان أنه إذا فعل ذلك - أعني: صرح لهم بكفرهم وعداوتهم لهم - فإنهم لا يتركونه بين أظهرهم، بل إما قتلوه أو أخرجوه.

قلت: وقد أخبر الله بذلك عن جميع الكفار، فقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَتُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَتُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾ (١).

وقال تعالى إخباراً عن قوم شعيب: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيِنًا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ (١).

وقال تعالى إخباراً عن أصحاب الكهف: ﴿إِنَّمَا يَنْظُرُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ فَضَخُوا فِي الْأَرْضِ الْمَكِينِ بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَكَثْرَةِ بَرْئِهِ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ فَلَهُ الِغْلَابُ﴾ (٢)، وقوله: ﴿يَرْجُمُوكُمْ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يقتلوكم بالرجم.

وهذا الذي أخبر الله به، وأشار إليه أئمة الإسلام، هو الواقع في هذه الأزمان.

فإن المرتدين بسبب موالاتهم المشركين والدخول في طاعتهم، لا يرضون إلا بمن وافقهم على ذلك، وإذا أنكره عليهم مُكِرُّ آذوه أشد الأذى، وأخرجوه من بين أظهرهم، بل سعوا في قتله إن وجدوا إلى ذلك سبيلاً، والله المستعان.

(١) سورة الأعراف، الآية ٨٨.

(٢) سورة الكهف، الآية ٢٠.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
ترجمة المؤلف	٥
مقدمة	١٣
فصل : اعلم أن الله سبحانه وتعالى بعث محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق	١٧
فصل : وهذا أوان الشروع في المقصود : معاداة الكفار والمشركين	٢٦
فصل : ومنها أمور يجب التنبيه عليها ويتعين الاعتناء بها لئلا يقع لها	
محاربة دين المشركين	٥٠
الأمر الأول : ترك اتباع أهوائهم	٥٠
الأمر الثاني : معصيتهم فيما أمروا به	٥٤
الأمر الثالث : ترك الركون إلى الكفرة والظالمين	٥٦
الأمر الرابع : ترك موادة أعداء الله	٥٧
الأمر الخامس : ترك التشبه بالكفار في الأفعال الظاهرة	٥٨
ذكر بعض الدليل على النهي عن مشابهة الكفار والمشركين	٦٠
فصل : في ذكر جوابات على إيرادات أوردها بعض المسلمين على	
أولاد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب	٨٦
المسألة الأولى : بعض الأدلة الدالة على وجوب مقاطعة الكفار	
والمشركين	٨٦
المسألة الثانية : الأشياء التي يصير بها المسلم مرتدأ	٩٠
الأمر الأول : الشرك بالله تعالى	٩٠

- ٩١ الأمر الثاني : إظهار الطاعة والموافقة للمشركين على دينهم
- ٩٤ الأمر الثالث : موالاتة المشركين
- ٩٦ الأمر الرابع : الجلوس عند المشركين في مجالس شركهم من غير إنكار
- ٩٨ الأمر الخامس : الاستهزاء بالله أو بكتابه أو برسوله
- الأمر السادس : ظهور الكراهية والغضب عند الدعوة إلى الله وتلاوة كتابه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- ١٠٠ الأمر السابع : كراهة ما أنزل الله على رسوله من الكتاب والحكمة
- الأمر الثامن : عدم الإقرار بما دلت عليه آيات القرآن والأحاديث والمجادلة في ذلك
- ١٠١ الأمر التاسع : جحد الناس شيئاً من كتاب الله ولو آية أو بعضها أو شيئاً مما جاء عن النبي ﷺ
- ١٠٢ الأمر العاشر : الإعراض عن تعلم دين الله والغفلة عن ذلك
- ١٠٢ الأمر الحادي عشر : كراهة إقامة الدين والاجتماع عليه
- ١٠٢ الأمر الثاني عشر : السحر : تعلمه وتعليمه والعمل بموجبه
- ١٠٣ الأمر الثالث عشر : إنكار العبث
- ١٠٣ الأمر الرابع عشر : التحاكم إلى غير كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ
- فصل : المسألة الثالثة : ما يعتذر الرجل به على موافقة المشركين وإظهار الطاعة لهم
- ١١١ فصل : المسألة الرابعة : مسألة إظهار الدين
- ١١٦ فصل : المسألة الخامسة : مسألة الاستضعاف
- ١٢١ فصل : المسألة السادسة : وجوب الهجرة وأنها باقية
- ١٢٦ الفهرس
- ١٣٥

هواتف أصحاب الفصيلة أعضاء الغنوى (الخارجية والداخلية)

الاسم	الرياض	التحوية	مكة	العائف
			مباشر	مباشر
جماعة بني انعام الشيخ عبدالعزير بن عبدالله آل الشيخ	٤٥٨٢٧٥٧	٢٢١٠	٥٥٨٩١٣٢	٧٣٦٠٨١٧ ٧٣٢٢٩١١
فصيلة الشيخ / عبدالله بن عبدالمحسن العتيق	٤٥٨١٧٣١	٢٣٢١	٥٥٨١٩٥٥	٧٣٢٢٥٨٤
فصيلة الشيخ / د- صالح بن فوزان الفوزان	٤٥٨٨٥٧٠	٢٨٠٠	٥٥٨١٤٣٨	٧٣٢٢٩٦٣
فصيلة الشيخ / د- بكر بن عبدالله أبو زيد	٤٥٦١٥٤١	٢٧٠٠		٧٣٣٤١٠٤
فصيلة الشيخ / د- عبدالله بن محمد المطلق	٤٥٨٥٤٤٣	٢٧٧٧	٥٥٨٢١٥٥	٧٣٧٤٥٥١
فصيلة الشيخ / د- عبدالله بن علي بن تركي	٢٧٢٩٧٩١	٢٣٥٣	٥٥٦٣٨٩٤	٧٣٧٤٥٥٣
فصيلة الشيخ / د- احمد بن عيسى المارحني	٢٧٢٩٧٩٨	٢٣٥٦	٥٥٤٣٢٥٢	٧٣٧٤٥٥٢
فصيلة الشيخ / عبدالعزير بن محمد الدارود	٤٥٩٥٩٥٦	٢٣١٦		
فصيلة الشيخ / محمد بن حسن آل الشيخ	٤٥٩٦٩٥٣	٢١٠٠		

رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء

الستقرال ٤٥٩٥٥٥٥ - ٤٥٩٦٢٩٢ الرياض

الستقرال ٥٥٨٩٨٢٥ - ٥٥٨٩٨٢٤ مكة المكرمة

الإمامة العامة للهيئة كبار العلماء - مكة المكرمة

الستقرال : ٥٥٨٨٠٠٧

الستقرال : ٧٣٢٠٩٠٠ الطائفة

رقعة إشارة لبحر الخليج والافاق

أ - الرياض

الستترال: ٤٥٩٥٥٥٥ - الرمز البريدي: ١١١٣١

فاكسملي: ٤٥٩٦٢٩٢ - تـلـكـس: ٤٠٣٠٩٠

٤٥٩٦٩٤٣ - إفتـاء إس جي

ب - مكة المكرمة

الستترال: ٥٥٨٩٨٢٥

٥٥٨٩٨٢٤ فاكس: ٥٥٨٨٧٨٧

الامانة العامة لهيئة كبار العلماء

ستترال: ٥٥٨٨٠٠٧

ج - الطائف

الستترال: ٧٣٢٠٩٠٠ فاكسملي: ٧٣٢٣٣٨٠

٧٣٦٩٤١٦

تـلـكـس: ٧٥٠٣٦٧